

الإنسان النوراني

إن أشرقت الشمس من داخلنا ،
فلن تحجبها كل غيوم العالم !...



مهدي الموسوي



الإنسان النوراني

إذا لم نجد النور في داخلنا، فلن نجده في أي مكان آخر

الكتاب: الإنسان النوراني

المؤلف: مهدي الموسوي

التصنيف: حكمه وفلسفه

الناشر: دار مدارك للنشر

الطبعة الأولى: يناير(كانون الثاني) 2015

الطبعة الثالثة: يوليو(تموز) 2017



مجمع الذهب والألماس، شارع الشيخ زايد، بناية رقم 3، مكتب رقم 3226، دبي - الإمارات العربية المتحدة
Gold and Diamond park, Sheikh Zayed Road, Bldg 3 Office 3226, Dubai - United Arab Emirates
P.O.Box: 333577, Dubai - UAE. Tel:+966 1145 41148 Fax: +971 4 380 5977







مهدي الموسوي

الإنسان النوراني

إذا لم نجد النور في داخلنا، فلن نجده في أي مكان آخر

المقدمة

سأحكي لكم في هذا الكتاب كيف نجعل أرواحنا تبتهج فتصبح شفافة خفيفة كالريشة ترغب في الطيران من الفرح إلى أعالي السماء. سأحدثكم عن الإنسان الباحث دوماً عن النور في داخله، فتصفو روحه وتصبح رقيقة كالنسمة قابلة للحب لأبسط الأسباب، ورغم أن هموم الحياة اليومية تخفي ذلك الإنسان الكامن في أعماقنا وتعيق ظهوره، فإننا إذا ما شرعنا النوافذ له فسيظهر منيرًا للعيان وتغدو عندئذ نظرتنا لهمومنا وصراعاتنا أكثر يسرًا وبساطة ونعيش حياتنا ببهجة وغنًى مذهلين.

إن الإنسان المتنور هو إنسان امتلأ قلبه بالرحمة وفي قمة الوعي واليقظة ويمثل خلاصة حكمة الشرق القديم والكتب المقدسة وحكماء هذا العصر. إن هذا الكتاب هو من أجل تنوير قلب الانسان المثقل بالهموم وتخفيف آلامه والتعايش بإيجابية مع الحياة في زمن السرعة والغضب والتذمّر والتطرف في كل شيء. لقد أيقظت روحي اكتشافات هذا العصر عن أسرار السعادة والحياة الطيبة فشرعت أتحدث لكم عن حكايات وأسرار ذلك الإنسان صاحب الروح الصافية والعقل الهادىء في عصر مضطرب.

ستجدون بين السطور الكثير من الرقصات النورانية فلا أثق بقائد روحاني لا يجيد الرقص مع الحياة والعزف على خيوط الشمس منذ الصباح الباكر.

ستجدون كيف يقاوم الإنسان النوراني الشيخوخة بالحب، ويسامح حتى من لا يستحقون السماح ولو لم يكن ذلك سموًا منه فمن أجل نفسه التي تستحق السماح، وكيف يسعى لأن يأخذ من الحياة رحيقها الطيب رويدًا رويدًا إلى أن يغادرها بسلام.

سأكشف لكم عن أحد أسراري الشخصية، إني رجل متشائم بمعنى أني لا أتوقع الكثير من الحياة، ولكني أعيش كالمتفائل الذي يتوقع خيرًا قادمًا في أية لحظة، وفي كل الأحوال سأرضى بما يصيبني من الحياة بكل امتنان

...... مهدي الموسوي

الإهداء

الى ابنتي دينا ذات الروح الراقصة بالفطرة، والممتلئة بالفرح والدهشة، والمتحفزة دوماً للاحتفال وصيد اللحظات الجميلة والاستمتاع بالأشياء البسيطة، وقد تطير من الفرح من نسمة عليلة أو تغرق في نشوة من دون خمرة، أهدي إليها هذا الكتاب.

اللهم برحمتك الآن وفي هذه اللحظة ..

خفف الآلام الداخلية والخارجية لكل البشر في كل بقاع الارض....

(دعاء ثابت متواصل طوال اليوم لراهبة بوذية تعيش منقطعة عن العالم في كوخ جبلي)

(1) راحة البال

في يوم من الأيام جلس الإنسان النوراني مع جمع من أصحابه، فسألهم عن أثمن ممتلكاتهم وكانوا جميعًا من فقراء الناس، فقال الأول: هي دابتي، فعن طريقها أحصل على رزقي، ومعها أصول وأجول، وقد أسامرها عندما أكون لوحدي. وقال الثاني: ابني هو أثمن ما أملك، ورغم أنه لازال صغيرًا ولا أعرف إن سيكون بارًّا بي أم لا، ولكني أحلم أن يكبر ويعينني على أيامي. وقال الثالث: كان أبي غنيًا وشهمًا كريمًا، وعندما توفي بددت كل ما ورثته منه، ولكن بقي لي منه اسمه، والناس يحترمونني على ذلك، وإن ذلك أثمن ما أملك. فقال لهم الإنسان النوراني، أما أنا فإن لي رأيًا آخر، هل سمعتم بحكاية الملا نصر الدين؟ فإليكم بها:

يحكى أنه كان هناك رجل فاحش الغنى يملك أرضًا مترامية الأطراف ويعيش في عزّ وترف ويحيط به الحشم والخدم ولا ينقصه من لذائذ الحياة سوى شيء واحد ألا وهو راحة البال، فطفق يبحث في أرجاء البلد عمن يعيد إليه ما يفتقده، فراجع أرباب الطب والعطارة، وجلب السحرة وأهل الكلام، وصرف الكثير من المال عليهم لكي يرشدوه إلى الوسيلة التي يستعيد بها راحة باله، ولكن بلا جدوى فقد كان كل واحد منهم يملأ رأسه بالكلام، قائلين له إفعل كذا وتجنب ذاك، وكل ذلك بلا نفع وطائل، وبينما طال سهره وأرقه، واشتد ألمه وازدادت حاجته إلى ما يصبو إليه، فقد قرر يوماً أن يحصل على ما يريد مهما كلفه ذلك من ثمن، فجمع صرة مليئة بالذهب وسار في الآفاق باحثًا في كل مكان إلى من يرشده إلى الوسيلة لاستعادة راحة البال، فسمع من بعض الناس أن هناك درويشًا يسكن في صومعة على أطراف الجبال اسمه (ملا نصر الدين) وهو الوحيد الذي لديه الحل السحري الذي يعيد إليه ما يريد، فقطع السهول والجبال حتى وصل إليه، فوجد رجلاً رثّ الثياب يحيط به رهط من أصحابه مثله أو أسوأ حالاً منه، فسأله متثاقلًا لما رآه على تلك الحال، إن كان هو ملا نصر الدين، فقال له نعم أنا ذاك، فعرض عليه الرجل الغني الصرة المليئة بالذهب على أن يمنحه أولًا ما جاء من أجله وهو راحة البال، فضحك عليه ملا نصر الدين وشاغله ثم سرق صرة الذهب هاربًا لا يلوي على شيء، فركض الرجل الغني وراءه ليستعيد الصرة، وظلا يركضان فلم يلحق به فأصابه التعب والإرهاق وجلس تحت ظل شجرة ليستعيد أنفاسه فقد أضاع الوقت وبذل الجهد وأصابه العناء وفوق كل ذلك خسر ماله ولم يحصل على ما يريد، وبقي مشغول الفكر والبال مهمومًا تعيسًا لما جرى له، وما هي إلا هنيئة حتى جاءه ملا نصر الدين ومعه صرة الذهب، فتنفس الرجل الصعداء وعلت البسمة على محيّاه، وقدّم إليه ملا نصر الدين الصرّة قائلاً: كيف حالك الآن وهل استعدت راحة البال، فقال له نعم لقد وجدت راحة بالي الآن تماماً، فقال له ملا نصر الدين، إذن فقد نلت مرادك وحصلت على ما جئت من أجله، فأعطني الآن ما وعدت، فأخذ منه صرة الذهب وولّى هارباً، وهو ينادي: إن ما كنت تبحث عنه موجود لديك ولكنك غافل عنه.

(2) عدم الجحود

بينما كان إنسان نوراني يسير في حديقة برية، رأى زهرة لوتس زاهية الجمال باسقة العود بأجمل الألوان تعيش في وسط وحل آسن بين صفحات الطين والأنقاض، ورغم كل القسوة الكامنة تحت الأرض فإن تلك الزهرة تزدهر فرحة بهدوء وثبات لتمنح الطبيعة واحدة من أجمل المناظر والأشكال، وتضيء قلوبنا بأروع دروس الحياة في أن نعيش أيامنا وأن ننهض وننمو رغم كل ما يحيط بنا من عقبات وأحزان، فتعجب من حالها، فقال لها: كيف تتحملين الحياة وسط هذه الوحول؟ فقالت الزهرة: إنني نظيفة رغم كل ذلك، وجميلة وصافية رغم بعض المناظر التي لا تسرّ من حولي، وفوق ذلك فإنني صقيلة من الداخل وأغصاني وسويقاتي لامعة، لقد ولدت هنا، وإن مهمتي أن أجعل هذا المكان يظهر بشكل أجمل ما دمت أعيش بينهم، هل تعلم بأني منسجمة مع محيطي ومتناغمة معه رغم الاختلافات الظاهرة بيننا، لقد كنت بذرة ، بالكاد ترى بالعين فاستعنت بكل الكائنات التي تعيش من حولي في غذائي، وها قد أصبحت الآن بفضلهم زاهية أُسرّ من يراني، وإن كل النباتات والأحياء الساكنين في جواري يفتخرون بي فأنا مثَّلهم الأعلى وإن ذلك يمنحني سعادة فائقة.

(3) الحياة في البهجة

إن الإنسان النوراني دائم البهجة، وقد يرقص طربًا لمجرد أنه يحيا على هذه الأرض، فوجوده في الحياة كافيًا ليمنحه السعادة، فيحتفل بيومه بدون أن يحتاج إلى سبب لذلك. إن الفرح يسكن في قلبه وحاجاته بسيطة، يأكل ما تيسر وينام على ما توفر من بساط، وإن أهم شي لديه هو جوهرته الداخلية والمحافظة عليها وتطوير قدرته على الحب لأوسع دائرة ممكنة وتفتيت نوازع الكراهية ومسببات الأحقاد. إنه يراقب قلبه ليمسح ما علق عليه من أحزان ومرارات.

إن أغلى الأشياء التي نصادفها فتملأ قلوبنا بالبهجة هي مجانية مثل نسمة الهواء والابتسامة والحب، وإن أروع الدرر موجودة في المحار القابعة في أعماق المحيطات، أما الفارغة فتنتشر بكثرة على السواحل القريبة من البحار، وإن الشجرة الوارفة الظليلة لها جذور تمتد عميقة تحت باطن الأرض ، وإن الوجه الباسم يفصح عن قلب صبوح، وإننا عندما نعشق تنهار كل القوانين البشرية وتحل محلها القوانين الإلهية، فيتحول العطاء إلى فرح والتضحية إلى سعادة والانتظار إلى متعة، وعندما لا نملك ما نمنحه للآخرين فيكفي أن نفيض عليهم بابتسامتنا وتفاؤلنا وأملنا، وإن لحظات السرور عطايا إلهية مهما بدت تلك اللحظات قصيرة، ولا قيمة للوردة إلا عندما تتفتح وتشعّ بجمالها على الوجود ويشمّ عبيرها الناس.

(4) خلق السعادة

إن الإنسان النوراني هو من يبني بيديه بهجته وسعادته، وإن كل سعادة يكون مصدرها الآخرين فهي كالبرق سريعة الزوال.

كان هناك رجل يسير في الغابة، فوجد إنسانًا نورانًّا جالسًا على صخرة وهو يتأمل في شجرة صنوبر عالية، فسأله: أراك سيدي تتأمل هذه الشجرة مليًّا، فما هو الشيء الذي أثارك فيها؟ فقال له: إن كل شيء في شجرة الصنوبر مثير؛ إنها سعيدة وساكنة ومطمئنة جدًّا. فسأله وما الذي يجعلها كذلك؟ فأجابه: لأنها مكتفية بنفسها من نفسها وتملك مصادر قوتها من داخلها، ولديها جذور عميقة تنساب في أعماق الارض، وإذا نظرتَ حولها فستجد أشجارًا كثيرةً، ولكن أغلبها مهزوزة وقد تنهار بفعل الرياح والبعض منها تحتمي بالأشجار العالية.

إن الإنسان النوراني يخلق بهجته بنفسه ويبحث عن منابعها الكامنة في داخله، ولا يعتمد على العالم الخارجي لخلق سروره، ولتحقيق ذلك فإنه يبسّط الأمور ويجرّد المشاكل من سطوتها ويسحب البساط من تحتها، حتى تفقد تأثيرها، وبذا يصفو باله ويتسرّب إليه الفرح رويدًا رويدًا؛ إنه وحده ربّان حياته.

(في ظل أحد المعابد، أشار صديقي إلى رجل كفيف وقال لي هذا رجل حكيم، فاقتربت من ذلك الرجل وسألته : منذ متى وأنت كفيف؟ فقال منذ ولادتي. فقلت له أنا عالم فلك، فقال لي: وأنا كذلك؛ لقد قضيت عمري في مشاهدة العديد من الشموس والنجوم التي تتحرك بداخلي) ....جبران خليل جبران

(5) لا فرح ..لا حزن

الإنسان النوراني، ثابت الجنان لا يتزحزح في حالات النجاح أو الفشل والفوز والخسارة، وإنه لا يتأثر برياح الأحداث ولا تهزّه الانفعالات، لأنه يعلم في أعماق ذاته عن الطبيعة الزائلة للأحداث، والتبدّل الدائم للحوادث والأيام. إنه يشبه جبلاً ثابتًا في مكانه بينما تمرّ من أمامه الغيوم والسحب، وقد تبرق السماء وترعد ويعمّ الضجيج المكان، ورغم كل ذلك فإن الإنسان النوراني يبقى ساكنًا ومحافظًا على تفكيره وتركيزه ، وما يجب فعله عندما تصحو السماء وتنتهي كل تلك الزوابع.

يحكى أن شيخًا كان يعيش مع جواده الأثير بين التلال، وفي يوم من الايام فرّ الجواد إلى البراري فواساه الجيران على حظّه العاثر فأجابهم بلا تأثر: وما أدراكم أنه حظ عاثر؟ وبعد أيام عاد جواده مصطحبًا معه عدد من الخيول البرية فجاء الجيران يهنئونه على هذا الحظ السعيد فأجابهم: وما أدراكم أنه حظ سعيد؟ وبينما كان ابنه الشاب يدرب أحد تلك الخيول البرية، سقط وكسرت ساقه فواساه الجيران على حظّه السيىء، فأجابهم بلا هلع: وما أدراكم أنه حظ سيىء؟ وبعد أيام أعلنت الحرب وجند شباب القرية ومات منهم الكثير وأعفي ابن الشيخ من القتال لكسر رجليه فنجا من ويلات الحرب.

إن أهل الحكمة لا يغالون في الحزن على ما فاتهم، لأنهم لا يعرفون إن كان ذلك شرّ لهم أم خير قد خفي عنهم، ولا يغالون في الابتهاج، فهم يفرحون باعتدال ويحزنون بصبر وتجمّل، ويعلمون بأن كلّ الأشياء في الحياة وقتية وكلّ شيء سيمضي، وإن لحظات الاستنارة القوية تأتي عند فقدان شيء غالٍ في حياتنا، فكلّما فقدنا شيئًا تعززت قوتنا الداخلية أكثر مع شغف عظيم بما نملكه تحت أعيننا وإحساس هائل بقيمة الحياة.

(6) العمل

(عندما يطلق الرماة سهامهم من أجل المتعة فإنهم يكونون بكامل مهاراتهم، وعندما يطلقون سهامهم من أجل حلية من النحاس فإنهم يتوترون، أما عندما يطلقونها من أجل كنز من الذهب فإن نظرهم يهتز ويرون الهدف الواحد هدفين) .... شوانج تزو

الإنسان النوراني يشعر في أعماق نفسه أن العمل يوقد في داخله الإحساس بالحياة، وإن العمل بالنسبة له عزة وكرامة وغنى واستقلال وحرية ومصدر للبهجة، وإن العمل أول من ينجيه من موجات الكآبة، ويمنحه الشعور بأنه موجود ومؤثر وله قيمة بين الناس. إن الإنسان النوراني عندما يعمل فهو يذوب في عمله، وقد لا يشعر بالوقت أو الجوع، وعندما يستغرق في العمل تجده سعيدًا يحيا كليًّا في عمله وكأن العالم كله ينظر إليه ومصير الكون بأجمعه متوقف على أدائه رغم أن ما يؤديه قد يكون شيئًا بسيطاً، وذلك لشدة انغماسه وتركيزه، وقد لا يشعر به الناس عندما يعمل، فهو يعمل أحيانًا بشكل خفي عن العيان.

صادف أن كان رجل حكيم قرب مجموعة من الأشخاص الغاضبين، وقد بدا عليهم أنهم مقبلون على معركة لأسباب تافهة، ولكن الله ألهمه بأن أشار بيده لأحدهم وكان يحمل سلاحًا حادًّا طالبًا منه الهدوء والانسحاب، وبقدرة قادر نفذ ذلك الشخص طلبه، فمنع بتلك الاشارة النابعة من روح طيبة من حصول معركة حقيقية بين أولئك الناس. إنه يعتبر أن تلك الإشارة من يديه كانت أفضل من كل ما قام به من عمل طوال ذلك اليوم لأن ما يهمه دائمًا هو الأثر الذي سيتركه عمله وليس العمل من أجل العمل فقط. إن العمل بالنسبه له هو أن يجعل العالم أفضل ولو قليلًا، ولا يهمه الكمّ بل يتوق إلى نوع العمل. إنه يعيش في العمل، وإن ذلك يمنحه الإحساس بأنه جزء لا يتجزأ من العالم مثل قطرة في المحيط، فالقطرة تستقوي بالمحيط، ولا وجود للمحيط بلا تجمع القطرات، وهو لا يفكر بالفشل عندما يباشر عمله، لأنه يعتبر أن الفشل الأكبر هو عندما يتوقف عن العمل.

إن الإنسان النوراني يتقمص حالة من الشغف والحماس عندما يمارس عمله، وعندما يقبل على عمله فكأنه مقبل على متعةٍ عظيمة.

(7) نشر المحبة

إن الإنسان النوراني ينشر طاقةً هائلةً من المحبة أينما يتوجّه، ويجعل القلوب تمتلئ بالعطف والرحمة بعيدًا عن زيف المظاهر وحسابات الربح والخسارة. إنه يخاطب الخير والجمال الكامن في داخل النفوس المتعبة الخائفة، ويحرّض ذلك الإنسان على الانعتاق والتحرر، ويذكّره بأنه لازال موجودًا ولم يفت الأوان للمساهمة في إعمار الحياة. إنه يسعى إلى خلق البهجة في حياة الآخرين فيجعلهم يشعّون بحضوره، ويزدهرون بوجوده، ويغدون في أروع حالاتهم. إن نفعه كبيرٌ وحاجاته بسيطة لدرجة أن الناس لا يشعرون بوجوده. إنه يمنع ظهور نوازع الشرّ الكامنة لدى البشر، ويُظهر أفضل ما لديهم ويلهمهم ليغدوا بشرًا صالحين بدلاً من كتلة من النفوس المحطمة.

(8) إنصاف الكائنات والتعايش معها

إن الإنسان النوراني يسأل الله دائمًا أن يُلهمه التصرّف بعدل وإنصاف مع كل الكائنات. إنه يكون في أسوأ حالاته عندما ينسى نفسه ويتدافع مع الناس كي يتصدّرهم ويتميّز عليهم. إن النجاح الحقيقي بالنسبة له هو عندما ينجح في الحياة كإنسان؛ ذلك الإنسان الذي يعتمد دائمًا على العلاقات المنصفة مع الآخرين وعدم سلبهم حقوقهم والمشاركة معهم في التنعم بالحياة.

زرت قصرًا مهيبًا لأحد ملوك الفرس مطلاً على حديقة غنّاء يجرى من حوله الماء جدولاً رقراقًا، لم أرَ جمالًا مثل جماله ولم أرَ حُسنًا وبهاءً في حياتي مثلما رأيت فيه، إلا أن هناك بيتًا قديمًا خربًا يتوسّط حديقة القصر وكأنه نقطة سوداء وسط تلك الروعة والجمال، فتعجبت من ذلك وسألت أحد العارفين عن سرّه، فقال لي بأنَ الملك لما أراد بناء هذا القصر اشترى الأرض التي تقابله ليجعل منها حديقة وارفة تزيّنه، وصادف أن كانت هناك عجوز تملك بيتًا خربًا في وسط تلك الأرض وقد رفضت بيعه للملك رغم أنه عرض عليها أضعاف مضاعفة لقيمته. ولمّا كان ذلك الملك حكيمًا عادلًا فإنه رفض إخلاء العجوز من أرضها وأبقاها على حالها. إن ذلك البيت الخرب هي درة قصر الملك الحكيم، وشامة الحسن التي تزين وجه القصر، وأجمل دلالةٍ على عدل الملك وإنصافه.

(9) المثابرة

(إذا انسحبنا من الحياة وضعفنا عن الكفاح من أجل تحسين العالم رغم قدرتنا على المواصلة، فسنُجبَر في أيامٍ قادمةٍ على خوض معارك أكبر وأشرس) ... بهاجافاد جيتا

إن الإنسان النوراني يستمرّ قدماً في مواصلة عمله واتخاذ القرارات التي يتطلب اتخاذها في حياته اليومية. ومهما كانت أيامه صعبةً وجراحه أليمة، فبعد انقضاء العواصف عليه أن يتحلّى بالشجاعة ويواصل حياته بفعالية وأن تكون أيامه منتجة وذات معنىً حقيقي. إنه يقهر كل النداءات الداخلية المحبطة للهمّة والتي تريد منه الخضوع للخوف والرهبة، وإن الحرية التامة بالنسبة له هي عندما يحرر نفسه من نداءات الشك والريبة التي تدفعه إلى حالة التجمّد من الخوف. إن التوقّف عن الحركة نحو الأمام، يعني التراجع نحو الخلف.

إن الطبيعة تحكي له أعمق أسرار الحياة عندما يجدها كل يوم في حالة من الحركة الدؤوبة؛ فمياه الينابيع تواصل سيرها نحو الوديان رغم الصخور المعترضة، والأشجار تواصل النمو سامقةً نحو السماء، وأمواج المحيطات تواصل حركتها مدًّا وجزرًا بلا كلل من أجل الكائنات البحرية، وتواصل كل دوابّ الأرض لعق جراحها والمضيّ قُدُمًا في التوالد والتكاثر وإثراء الحياة. إن الإنسان النوراني ينخرط في الحياة ويقاوم الانسحاب منها بكل وسيلة. إنه يواصل الحرب من أجل خير البشر. وقد تكون حربه في بعض الأيام بالتحلّي بالصبر والسكون والتسامح ورفع الأذى عن الطريق.

عندما أنهى العازفون مقطوعتهم الموسيقية على السفينة (تيتانيك)، سألوا قائد الفرقة الموسيقية : ماذا نفعل الآن وقد أوشكت السفينة على الغرق، فأجابهم بلا تردّد: عودوا إلى عملكم وواصلوا عزف الموسيقى!

(10) كل الحكايات تبدأ من أفكارك

إن الإنسان النوراني يراقب موجات الأفكار التي تخطر على باله بيقظةٍ وانتباه، لأن أفكاره تحدد مسار حياته، فلا يمكنه أن يفكر بالفقر فيصبح غنيًّا، ولا يمكنه أن يفكر بالحب ويشعر بالكراهية. إن أفكاره تقرر انفعالاته وهي تشكل خارطة الحياة له. إنه يصبح ويغدو وينمو كما يفكر ويتصور. إن أفكاره هي قواه الحقيقية التي تدفعه نحو المستقبل، إنه دائم المراقبة لأفكاره.

بعد أن فاز رامي السهام بالعديد من البطولات، انطلق باحثًا عن معلم الزنّ حتى وجده فقال له: إنني أفضل رماة السهام في البلدة ولم أتعلم الكثير من العلم والحكمة وقد سمعت بأنك كنت أفضل رامٍ بالسهام في المنطقة، ولذا فإني اسألك: هل نفعتك علومك في تعلم رمي السهام؟ فردّ معلم الزنّ في إيجاز بالغ قائلاً: لا. ولكن البطل لم يقتنع، والتقط من جعبته سهمًا وأطلقه فأصاب شجرة كرز على مسافة بعيدة وابتسم في خيلاء كأنما يقول للمعلم إنني أشك في أن تكون راميًا بارعًا مثلي. فقام معلم الزن بالتقاط قوسه بكلّ هدوء، وشرع في السير باتجاه جبل قريب عبر جسر متهالك من الحبال يوشك أن يتداعى، وأمسك بقوسه، وعندما وصل إلى منتصف الجسر ثبّت فيه سهمًا، ووجهه نحو شجرة بعيدة ورماه فأصاب الهدف، ثم قال للشاب: والآن حان دورك. فمضى الشاب في ارتباك وهو يحدق في الهاوية المترامية أسفله وأطلق سهمًا، ولكنه استقر بعيدًا عن الهدف. فخلص معلم الزن إلى القول للشاب: قد تكون ماهرًا للغاية في التعامل مع الأداة التي اخترتها لتكسب بها عيشك، ولكن قد لا ينفعك هذا إذا لم تفلح في السيطرة على الذهن الذي يستخدم تلك الاداة، وذلك ما يعلمه لك العلم والحكمة.

(11) زاهية كل أوراق الشجر

إن الإنسان النوراني يمتلك شجاعةً فائقةً في تقبّل تفوّق الآخرين عليه، وهو على استعداد تام لرؤيتهم بأفضل صورة ممكنة. إنه يتقبّل بكل ارتياح أحقية الآخرين في الفوز عليه. إنه متحرر تماماً من عُقَد الطفولة عندما كان أقرانه يتفوقون عليه في الدرس أو في ساحات اللعب وكان حينذاك يحزن من نفسه أو يحسد أقرانه. إنه الآن، وقد نمت شخصيته وزادت ثقته بنفسه فقد أصبح حرًّا من قيود الماضي ومن الأفكار التي تدعوه في سرّه لكي يكون دائمًا الأول والأفضل. إن نجاحات الآخرين وتفوّقهم عليه، تعلّمه أن يصبح أكثر تواضعًا، ومتقبّلًا أن الحياة توزع هباتها بشكل منصف على كافة البشر وكلٌّ منّا يأخذ نصيبه من الحياة.

كانت هناك ورقة زاهية تتدلّى من على شجرة تسندها وتتغذى منها، وفي يوم من الأيام نظرت من حولها فرأت أوراقًا أخرى ملونة تحيط بها، ففكرت في نفسها ورغبت في أن تحصل على بعض الغذاء من الورقة التي تليها، ثم تمنّت لو كانت تملك رِقّة وجمال الورقة الأخرى، فلم تعرف كيف تفعل ذلك وعجزت عن تحقيق طلبها، وسرعان ما هداها التفكير إلى أن تلك الأوراق المحيطة بها هي مصدر الأمان لها، فما أوحش تلك الحياة لو كانت لوحدها على الشجرة! وكيف لها أن تواجه الغربان لو هاجمتها أو تجابه الرياح إن عصفت بها؟ وهل كانت العصافير تسلّيها وترفرف عليها لو كانت لوحدها، فهدأت نفسها واستقرت وسكنت.

(12) إبقاء شعلة الحياة موقدة

يراقب الإنسان النوراني حالاته واندفاعه ومدى احتفاله بالحياة، فهو يدرك أن أثمن ممتلكاته هي أيامه، لأن بها يمكنه أن يعيش ويكتشف العالم ويعمّر الأرض وبها يساعد الآخرين في تحقيق أحلامهم، وأنه يشعر بالسعادة البالغة في أعماق ذاته متى ما نجحوا في ذلك.

جمع معلم حكيم تلاميذه حول طاولة الدرس وجاء بإناء فارغ وسكب فيه حفنة من الرمل ووضع فوقها كومةً من الحصى، ولما أراد أن يضع الأحجار الكبيرة في الإناء لم يسع الإناء ذلك، وسأل التلاميذ عن الخطأ في العملية، فأجابه أحدهم: عليك سيدي بوضع الأحجار الكبيرة أولًا ثم الحصى، وبعدها وضع حفنة الرمل عليهما، فأجاب المعلم، نعم ذلك هو الدرس الذي أحببت أن أعلّمه لكم هذا اليوم.

إن أيامنا في الحياة معدودة، علينا أن نصرفها في المهم، وسيبقى لنا من الوقت لعمل الأشياء الأخرى الأقل أهميةً.

ان الإنسان النوراني لا يألوا جهدًا في إبقاء شعلة الحياة متوهجة دائمًا في داخله، ولا يريد أن يندم يومًا على مشاريع لم يقدم عليها أو مغامرات لم يخُض غمارها وقصص حب لم يكافح من أجلها.

(13) الصدق

الإنسان النوراني صادق مع نفسه قبل أن يكون كذلك مع الآخرين، إنه لا يحب الأقنعة، فهو واضح صريح، ومباشر في تعامله مع الآخرين مع مراعاة اللطف والكياسة، إنه متحرر من الأدوار المزيفة التي يريدها له الآخرون، وقد وجد أن معظم مشاكله ومعاناته مع الآخرين بسبب أنهم يريدون أن يكون صورة مستنسخة عنهم وانعكاسًا لهم لا كما هو على حقيقته، إنه يعيش دائمًا حياةً واضحةً وصادقةً تعبر عن طبائعه الحقيقية، ويعيش أوقاته متوافقًا مع ذاته، إن الصدق بالنسبه له أسلوب حياة يشعره بالتوازن الداخلي، والتناغم مع الكون الذي يسير بنسق منتظم بلا زيف أو خداع.

تنازع هُدهُد مع غراب على حفرة بها ماء، وادعى كلٌّ منهما ملكيته، فتحاكما إلى قاضي الطير فطلب بيّنةً من كل منهما لإثبات ادعائه، ولمّا لم يكن لأحدهما بيّنة، فقد حكم بتلك البئر للهدهد، فقال الهدهد للقاضي: لماذا حكمت لي بها، فقال لأنه اشتهر عنك الصدق بين الناس فقالوا أصدق من هدهد، فقال له الهدهد: إن كان كما قلت، فإني والله لست ممن يشتهر بصفة ويفعل خلافها، إن هذه الحفرة للغراب، ولئن تبقى لي هذه الشهرة بالصدق فإنها أفضل لي من ألف حفرة.

(14) جوهر الأشياء

الإنسان النوراني لا يلتفت إلى حجم العمل الذي ينجزه، ولا يفكر في شكل العمل أو ما سيقوله عنه الناس عند إكماله، إنه ينظر إلى نوع العمل وقيمته ومدى تأثيره على حياة الآخرين. إنه يثابر على ما ينبغي عمله بكل تفانٍ وتركيز ناسيًا كلّ شيء آخر. إنه يعمل ولو قليلاً، ولكنه يعمل دائمًا .

وقف صبي صغير وهو ينظر إلى نجمة البحر التي قذفتها الأمواج الهائجة، وبعد ثوان من التأمل قرر الصبي أن يجري نحو النجمة ليعيدها إلى المحيط قبل أن تموت، وكان كلما أعاد نجمة إلى البحر قذفت الأمواج بالعشرات غيرها على الساحل، ولكن الصبي لم يكترث بذلك وراح بجدّ ونشاط يقوم بإرجاع نجوم البحر الواحدة تلو الأخرى. فجأة! ناداه رجل كان يراقبه قائلاً: يا بني ألا ترى آلاف النجوم وقد تناثرت على الشاطئ وأن عملك هذا لن يغير من مصيرها شيئًا، فابتسم الصبي وانحنى ليلتقط نجمة بحر أخرى ثم ألقى بها إلى البحر قائلًا: لقد تغيّر مصير نجمة البحر هذه على الأقل ...أليس كذلك.

(15) المجابهة والغفران

يخوض الإنسان النوراني معاركه عندما تفرض عليه بكل عزم. إنه يستجمع طاقته ويؤدي مهامه بدقة وإتقان، ورغم أن سلاحه الأول في الحياة هو الكلمة الطيبة ومنح المودة والسماحة وتشجيع الناس لعمل الخير، ولكن إذا أصرّ خصمه على القتال فإنه لا يتردد في خوض المعركة ولكن بأدنى عنف ممكن، وغالباً ما يستخدم طاقة خصمه في التخلص منه، لترتد عليه فيتوقف خصمه عند حدّه، وهو يختار معاركه بنفسه وبما يتوافق مع قيمه وأخلاقه، ولا ينجر إلى استفزازات خصمه، وإذا كان الناس العاديون يثارون بسهولة، ويستلّون سيوفهم مسارعين إلى القتال إذا شعروا بالإهانة، فإنه ليس كذلك، لأنه يعتبر أن ذلك هو تعبير عن الخوف والرعب وليس دليلًا على الشجاعة، وإن الإهانة من خصمه هو تعبير عن ضعفه ونقص في تكوينه.

لقد غفر (مانديلا) لسجانّيه الذين حبسوه ظلمًا لمدة سبعة وعشرين عامًا، وعندما نجح مانديلا في ذلك الامتحان القاسي على النفس، كانت مكافأته أنه قد تطور ونمى روحيًّا، واشتركوا جميعًا في بناء بلدهم الجديد. وعندما يجد الإنسان النوراني أن سلاحه الذي يستخدمه في المعركة يجرح أناسًا أبرياء فإنه يتوقف عن القتال، وقد يكسر سيفه أو يثلمه فلا يعود فاعلًا. إنه لا يستخدم سلاحه إلا بالحق. إن أهم معارك الإنسان النوراني هي معركته الطويلة التي يخوضها مع نفسه من أجل حثها على الصفح وغفران الإساءات التي تصدر من الآخرين، وفي خضمّ تلك المعركة عليه أن لا يكره نفسه ولا يعاديها بل يصاحبها ويكون أرفق ما يكون بها حتى تغيّر نفسها بنفسها وتسلّم قيادها للحق والخير.

عندما يبلغ الصقر أربعين عامًا يكون منقاره قد أصبح معقوفًا وغدت أظافره منحنية مما يعيقانه من الصيد، ويكون ريشه قد نما وأصبح ثقيلًا مما يعيقه عن الطيران، فلكي يبقى على قيد الحياة ويعمّر حتى السبعين فإن عليه أن يقلم أظافره بعد أن نمت وأصبحت عاجزة عن الإمساك بالفريسة ويقلّم منقاره وأن ينتف ريشه، وأمامه خياران فإما الاستسلام للموت أو أن يختار الحياة ومواجهة المعركة المحتومة عليه ببسالة، ويتم ذلك بشكل مؤلم يستمر معه لخمسة أشهر، فيذهب إلى عشّه في قمة الجبل ويضرب مقدمة منقاره المعقوف على الصخر حتى يتكسر، ثم يقوم بكسر مخالبه الملتوية وينتظر حتى ينمو المنقار وتنمو المخالب من جديد ليتمكّن من الإمساك بالطريدة، ويبدأ في نتف ريشه المتراكم، ليصبح بذلك قادرًا على التحليق والصيد وإكمال دورة الحياة من جديد، بعد أن نجح في خوض غمار أقسى معاركه في الحياة على الإطلاق وهي معركته مع نفسه.

(16) الصعاب تخلق الرجال

لن نحصل على أية هبات بدون ألم ...... حكمة صينية

عندما تنتاب الإنسان النوراني الآلام، فإنه يشعر وكأنّ شيئاً يتسرب من ثنايا جسده مبتعدًا عنه رويدًا رويدًا. إن آلامه ليست سوى نقاط ضعف كامنة تغادر جسده، إنه لا يحزن متى ما أحس بالآلام، فهي العلامة على أنه في طريقه لكي يغدو أقوى، وإن أحزانه ومآسيه جزءٌ من منظومة الحياة، ولا بدّ أن يجتاز تلك العقبات متى ما فرضت عليه للارتقاء إلى حال أفضل.

إن مصاعبه ما هي إلّا جسور لنجاحه القادم، وإن الجزع من التغيير والرغبة في الركون إلى ما تعودنا عليه من نمط الحياة الرتيبة والخوف من اقتحام المجهول والتعود على ما ألفنا عليه في حياتنا ستجعلنا نحصد النتائج القديمة نفسها بلا تحسن أو تطوير.

إن الإنسان النوراني في غاية التهذيب وإن كان مجهداً، لأنه يعلم في داخل سريرته أن الله عندما يريد أن يكلف شخصاً ما لحمل رسالة عظيمة فإنه ، وبعد أن يختبر عزمه، ينهك جسده، ويضنيه بالمشقة العظيمة حتى يصبح أهلًا للمسؤولية ويستحق شرف الكرامة، بل إن المشقة والضنك تظهر أصيل معدنه، فورد الزعفران لا يفقد عطره مهما طحنوه وعبير السحلب يضوع وإن أحرقوه.

ذهب رجل يومًا إلى صانع أحجار كريمة، فوجده منهمكًا في تشذيب حجر يظهر أنه ثمين ولكن مع ذلك فإن ذلك الحجر يبدو على هيئة رثة، فسأل صانع الأحجار عن قيمتها، فأجابه: إن ذلك الحجر لا تظهر قيمته الحقيقية إلا بعد أيام من الصقل والتهذيب وعند ذاك يغدو تحفة للناظرين، فتعلم الدرس البليغ ...إنه لن يبلغ الكمال ولا يبان على حقيقته إلا بعد أن يتمّ تشذيبه وتمحيصه مثل ذلك الحجر الذي رآه عند صانع الأحجار.

(17) النور بين الجوانح

إن الإنسان النوراني موجود بيننا، يظهر تارة ويختفي أخرى. إنه يظهر على لسان معلم الزن، وعلى رقّة قلب المتصوف، وعلى روح الصفح والتسامح في عيسى، وفي الكلمات الطيبة واللهفة على المساعدة التي يعرضها الناس العاديون، وعلى الرحمة التي ملأت قلب محمد. إنه يظهر في صبر بائع الخبز على تحمّل حرّ النار حتى ينضج خبزه. إنه يلوح من مومس عجوز شمطاء حرمت من كل شيء، وهي تذوب رقة ورحمة عندما ترى طفلًا صغيرًا. إن الإنسان النوراني موجود في كل مكان حولنا، وساكن في كل لحظة بين جوانحنا.

(18) في التأمل

الإنسان النوراني يبحث بصدق وتركيز عن إجابات من خالق الكون عن الأسئلة المحيرة التي تقلق مضجعه. إنه يعتزل الكون مستجيرًا بخالقه ليستعيد حالة سكون النفس عندما تفارقه بفعل مرارات الحياة، وكلّما كان تركيزه وتأمّله عميقًا وصافيًا، جاءته الإجابات واضحة وشافية. إن التأمل مثل العودة إلى البيت، مثل العثور على النفس التي تتوه في زحمة الأحداث؛ هو استغلال لطاقته المنسية في داخله، والتحرّر من القيود والحياة بعمق ورفع مستوى الانتباه واليقظة لما يجري من حوله، والنظر ببصيرةٍ ونفاذ إلى حقيقة الأشياء لا إلى ظواهرها السطحية واسترجاع للسعادة التي اختفت في خضم صراعات الحياة، هو التناغم مع الكون وتوسيع مدى طاقته على محبة الناس والأشياء ورفع مستوى الحماسة للحياة. إنه اكتشاف الحكمة والحقيقة في أوقات الحيرة والاضطرابات، والتقاط اللحظة النورانية من بين ركام الزمن، هو الإحساس بالسكون والأمان.

إن التأمل هو التحرّر من الطلبات السطحية واللذات الزائفة والبحث عن الكنوز الداخلية، وهو التحرر من الرغبة في أن يستجيب العالم لشهواتنا وأن يكون الناس مثلما نشتهي ونريد. إن التأمل هو تجميع للنفس التي تشتّتت وتناثرت في زحمة الحياة وتناقضاتها وحروبها التي لا تنتهي. إنها محاولة لإعادة ترتيب الذات وتجليسها وتسكين روعها للسيطرة على المخاوف والأشباح الداخلية المزعومة. إن التأمل يجعلك تكتشف في داخلك أشياء لم تكن تعتقد أنها موجودة من قبل.

إن الإنسان النوراني يؤدي دوره بشكل تام في الحياة مندمجًا مع الناس، ولكنه يركَن إلى نفسه بين حين وآخر ليستجمع قواه ويعيد تركيزه وتوازنه ليكون قادرًا على الاستمرار في أداء مهمته في زرع الخير في أرجاء الكون.

(19) التضحية

رأى إنسانٌ نورانيّ شمعةً تخلب الألباب بحسنها وجمالها، فهاله أن تذوي هكذا وتذوب، فقال لها: إن قلبي ينفطر من الألم عندما أنظر إليك وأرى حسنك وجمالك يذويان من اللهب رويدًا رويدًا، فهل تسمحين لي أن أُطفئك؟ فقالت الشمعة: وما قيمة حسني وجمالي إذا ما انطفأ نوري وذهب ضيائي؟ إن قَدَري هو أن أبقى هكذا أنير للناس من حولي وأذوب حتى آخر رمقٍ من حياتي.

(20) المجد في الداخل

تكمن قوة الإنسان النوراني وينبوع طاقته التي لا تنضب في داخل نفسه، مثل المحارة التي تخزن في داخلها الدرر الجميلة. إن سعادة الإنسان النوراني إحساس عميق بالرضا تنبع من داخله، إنها كامنة في ذاته.

يُحكى أنه كان هناك راهبان يعيشان في دير منعزلين عن العالم، وفي يوم من الأيام وبينا هما يطالعان في كتاب قديم قرآ أن هناك مكاناً في طرف العالم تلتقي فيه الأرض بالسماء وأن هناك بابًا، وما عليهما سوى أن يدفعا ذلك الباب حتى يجدا مملكة الله وجهًا لوجه، فقررا الذهاب للبحث عنه مهما كلّفهما ذلك من صعاب وتعاهدا على أن لا يعودا قبل أن يجداه. لقد عبرا العالم كلّه ونجيا من أخطار لا تعدّ ولا تُحصى ورغم ذلك لم يحيدا عن هدفهما، وفي آخر الأمر وبعد جهد كبير، وجدا ذلك الباب فخفق قلباهما وقرعا الباب فانفتح بهدوء ودخل الراهبان... فوجدا نفسيهما داخل الدير، الدير نفسه الذي كانا فيه، كلٌّ أمام صومعته.

(في الإنسان مجد عظيم مختبئ في داخله، بهي هو الإنسان، لكن بهاءه مسجون ولا بد من إطلاق بهائه، كبذرة تحتفظ بآلاف الأزهار المتوارية فيها والتي تحتاج لمساعدة المزارع وبحاجة للتربة وإلى قليل من الشجاعة حتى تدك حصونها) ...... أوشو

(21) حياة تزخر بالحياة

يختبر النوراني نفسه صباح كل يوم عن مدى رغبته في الحياة وعن درجة انفتاح روحه نحو الكائنات التي سيقابلها، وعن مدى استغراقه في أداء ما يترتب عليه لكل المواقف التي سيراها أثناء ساعات يومه، وقد وضع نصب عينيه هدفًا واضحًا كوضوح الشمس عندما يفيق من نومه وهو أن يعيش يومه القادم بامتلاء وحيوية.

في صباح شتاء بارد، كنتُ جالسًا في السيارة التي يقودها صديقي الكردي ونحن ذاهبان إلى موعد عمل مهم، وعلى إحدى إشارات المرور وقفت أمامنا حافلة تقل كوكبةً من أطفال الروضة، وقد أثارت وجوهنا العابسة أولئك الأطفال، فتجمعوا على زجاج الحافلة الخلفي وهم يعيبون علينا بألسنتهم وأيديهم وبكل وسيلة سنحت لهم وهم يضحكون ويمرحون بكل هرج ومرج، وعندما أضاءت الإشارة الخضراء طلبت من صاحبي السير خلفهم وليذهب الموعد إلى الجحيم، وقمنا بتمثيل حركات الأطفال ومحاكاتهم ومنحناهم الفرصة الكاملة لكي يضحكوا علينا، وضحكنا على أنفسنا وعلى وجوهنا التي عاكست ذلك الصباح الضاحك فاستحقت بذلك شماتة أطفال مقبلين على الحياة، ولم نندم أبدًا منذ ذلك اليوم أنا وصديقي الكردي على التأخر عن موعدنا لعشر دقائق والسير خلف حافلة الأطفال الذين منحونا الدفء في ذلك اليوم البارد، وعلمونا درسًا عظيمًا في الحياة.

(22) الغرور

عندما تنتاب الإنسان النوراني حالة من الغرور، فإنه يتوقف في مكانه متسائلًا عن السبب الذي دعاه إلى ذلك الإحساس، إنه يعتزل العالم لبرهة ليستعيد توازنه ويسترجع نفسه التي شطحت، وهو يعلم يقينًا أنه لا شيء أسوأ من الغرور فهو المرض الأكبر الذي يصيب البشر، وإن طريق الإنسان في تسلقه جبال العلم والمعرفة ما هي إلا اكتشاف في الوقت نفسه لمدى قصوره وجهله، فكلما زاد علمًا تواضع درجةً، واكتشف مدى نقصة وحجم ما لا يعرفه.

يُحكى أنه كانت هناك شجرة تين ريّانة كبيرة، تنشر أغصانها على ما حولها من صغار الشجر فتفيء بظلالها الوافر عليهم، وكانت العصافير تستمتع بالغناء على أغصانها الخضراء، وينعم صاحب البستان بثمرها من أطيب أنواع التين. وفي يوم من الأيام أصاب الغرور تلك الشجرة، فعبست وتذمرت من حالها، وتساءلت عمّا يدعوها إلى نشر ظلالها على جاراتها من

صغار الأشجار، ولماذا تستريح العصافير بلا مقابل على أغصانها، وعن ثمارها من التين الطازج الذي تشقى في إنضاجه، حتى إذا ما استوى يقطفه منها صاحب البستان، فقررت أن تكتفي من خيرها لحالها فلا تفيض بأي شيء على الآخرين، فقامت بقص أغصانها وأوراقها، وتوقّفت عن إنتاج التين، ومرّت على تلك الحال فترة من الزمن حتى غدت تلك الشجرة مجرد هيكل مهمل من الخشب العاري، فحرمت الشجيرات الصغيرة من ظلالها وتوقفت العصافير من زيارتها والغناء على أغصانها، وفي أحد أيام الشتاء القارس زارها البستاني وكان في حاجة إلى قطع من الأخشاب للدفء بها، فما كان منه لما رآها وهي على تلك الحال حتى اتخذ قراره في أن تكون شجرة التين، تلك التي كانت يومًا درة البستان وبهجة للناظرين وقودًا لشتائه، وكل ذلك بسبب غرورها وتكبرها من أن تفيض ببعض ما أنعم الله عليها من خير على ما يحيطها من الكائنات.

(23) قوة الماء

الإنسان النوراني يشبه الماء في حالاته وطباعه، فلن يخدشه السكين الحاد ولن تهشمه أقوى مطرقة، إنه مرن صبور ويواصل التدفق حول العقبات التي تجابهه، ويتكيف مع أي مجرى يلاقيه من أعلى الصخور وحتى أسفل الوديان مواصلاً جريانه نحو غايته، وقد تضعف قوته أو يهدأ برهة إذا ما واجه سدًّا منيعًا ولكنه لا يتوقف عن الحركة عندما يجد منفذًا.

إن الإنسان النوراني مثل الماء يحافظ على تركيبته وأساسه حتى وإن تلوث أحيانًا بالمؤثرات، وهو واضح، رقيق وشفاف. إن الماء يمتزج بسهولة مع المياه التي يلاقيها في الأنهار الأخرى وسرعان ما يرقصان سوية ليصبحا أشدّ وأقوى، إنه كامن القوة حتى وإن تبخر فسيظهر بعد حين.

إن الإنسان النوراني يشبه الماء في صلابته رغم نعومته ورقته الظاهرة، وهو عصي على الاختراق رغم سهولته وليونته، ويشبهه في قدرته على خلق الحياة ما إن يحل في أي مكان، وهو يواصل جريانه بلا توقف، لأن الجريان يجعله أصفى وأنقى.

(24) البحث عن الجمال

إن الإنسان النوراني يبحث عن الجمال في كل زوايا الأرض، وينتبه للثمار التي تلوح له من بين أغصان الأشجار، ويلتمس الدفء إذا ما رأى النار، ويعتبر مغيب الشمس ليس إلا استعدادًا لولادة يوم جديد، يفكّر قبل أن يقرّر، ويستشير عندما يحتار، ولكن يبقى قلبه دليله، ولا يتخذ قرارًا لا يرضى عليه قلبه. إن الإنسان النوراني يتعلّم كل يوم فنّ الغوص في زوابع الحياة وكيفية الخروج منها سالمًا من الأذى دون أن يفقد قيمه ومبادئه، فإذا ما فشل فلا يفقد حماسه وأمله من غد أفضل مهما جرت عليه من أحداث.

والإنسان النوراني يتعلم من كل شيء حوله، ولا يغفل عن أية فرصة للتعلّم من الحكماء أو من مصادر قد تبدو غريبة، ففي إحدى المرات لمح طفلًا أمامه فابتسم في وجهه، فما كان من الطفل إلا وقد انفرجت أساريره وبادله الابتسامة، فاستوعب الدرس وشعر أن الحياة تتصرف معنا مثل الطفل فهي تبادلنا المشاعر سلبًا كانت أم إيجابًا. وفي مرة أخرى كان جالسا يومًا على صخرة وقد انتابته مشاعر الحزن والأسى وهو يراقب شجرةً منتصبةً أمامه، وفجأةً هبّت ريحٌ عاصفةٌ فما كان من الشجرة إلا وقد تراقصت أغصانها مع الريح برشاقة وتمايلت فروعها ببهجة، فلم تغضب الشجرة من الرياح ولم تعاكس حركتها أو تظل متصلبة في مكانها وإنما تناغمت معها حتى هدأت الريح ورحلت عنها، فتعلّم من الشجرة روعة التعامل بمرونة مع الأحداث الخارجية.

(25) الرحمة

الإنسان المهذب يتجنب وضع قدميه حتى على ظلّ جاره ... مثل صيني

شعار الإنسان النوراني لكل من يراه في الشارع هو(أنت أنا)، إنه يريد أن يفهم نفسه جيدًا حتى يفهم مكنون دواخل الناس كي لا يجرحهم، وإنه لا يخاصم لأن الخصومة للصغار، ويحب الضعفاء أولئك الذين يحيون بخوف الله واللائذين من الزمان برحمته لأنهم ضمير الأرض. إن وطن النوراني هو الإنسان المهمّش والمنسي والمنبوذ أينما وجد، إنهم العلّة في نزول رحمة الله على الأرض، وهو يناصرهم ويدافع عن قضاياهم الصغيرة بكل حماس وكأنها قضايا العصر أو كأنها تقرر مصير البشرية.

في صلاة الاستسقاء تضرع الإمبراطور الصيني(كيا كيبنغ) لله وهو يقول:

أنا خادم السماء وإني إذ أرتجف، أتذكر بأني كنت سببًا لهذه الكارثة الرهيبة لكثرة أخطائي، وإني إذ أحذو حذو أجدادي، يتوجّب علي أن أسأل نفسي وأرى إن كنت قد أخطأت أثناء التضحيات تكبّرًا أو شذوذًا في سلوكي، إن كنت قد أخللت بواجباتي الإدارية أو ساهمت في بؤس الشعب وذلك بتشييد القبور أو بإقامة الحدائق المُكلفة أو إن أعرت أُذُنًا صمّاء لنداءات البؤساء او شننت حروبًا من أجل أن أجني منها المنافع، ها أنا أركع وأتوسل للسماء أن تغفر لي جهلي وجنوني وأن تبعث حياتي الروحية، لأن مصير أعداد لا تحصى من الأبرياء يتعلّق بي... إني رجلٌ وحيدٌ.

(26) الروح الطيبة

أفضل دليل على الحكمة هي أن يحافظ المرء على روح طيبة... مثل سويدي

إن الإنسان النوراني يتقبل المنح التي تهبها له الحياة، فإذا كانت المنحة طيبة فيبتهج بها، وإذا لم تكن كذلك فيفترضها فرصة للتحدي أو لمراجعة النفس أو للتواضع. إنه في حالة امتنان دائم وقد أفرد أجنحته للحياة. إن امتنانه أبدي، وذلك هو السرّ الذي ينير قلبه وروحه بالبهجة الدائمة.

قال الشاعر الكبير جلال الدين الرومي:

هذا الكائن دار ضيافة.

يأتيه كل يوم زائر على بابه.

بهجة وكآبة وغضب

قد تأتيه ذكريات كضيف لا يتوقعه

رحب بها وأكرمها كلّها

ولو كانت حشودًا تنذر بالأسى

ولو أزالت بوحشية ما في دارك من أثاث

عاملها جميعًا بكرم

قد يجعلك خاويًا ليملأك بسعادة جديدة

الفكر السوداوي والخزي والغلّ

أنتظرهم بالباب ضاحكًا وادعهم للدخول

أُشكر أيًّا من تأتيك، فكلها قد بعثت

دليلًا من الغيب.

(27) عند التوتر

عندما يتعرض الإنسان النوراني للتوتر، فإنه قبل كل شيء ينتبه لنفسه ولأفكاره ليبقى يقظًا واعيًا ليساعد نفسه في التخلص من التوتر، فيقرر مع نفسه أن لا يدع ذلك الأمر يغضبه ويزعجه، ثم يلتجئ إلى الهدوء والسكينة للاسترخاء وتجميع الأفكار. إنه يفكر أن ما حدث قد حدث والكل معرّض للظروف الصعبة ويفكر في الخطوة التالية وماذا لديه ليفعل، فإذا كان مرهقًا فقد يتصل بصديق أو يتنزه خارجًا. لقد عانى سابقًا من توترات أصعب وهي مرت وستمر هذه المرة أيضًا، ولن يدع توتره يسبب الإساءة إلى الناس من حوله أو ينفذ إلى أعماق نفسه، وقد يفعل كما كان (فيكتور هوجو) يفعل، فعندما كان يتوتر، كان يذهب قبل غروب الشمس إلى بحيرة مجاورة من مسكنه ليقف بضع لحظات متأمّلًا صفحة المياه ومع مغيب الشمس يقذف الحصى في تلك البحيرة، كمن يلقى بتوتره وهمومه بعيدًا عنه بانتظار يوم جديد.

(بدلاً من الشكوى، كان هؤلاء الرواد يؤلفون الأغاني ويلقون النكات حول مغامراتهم، وبهذه الطريقة أبعدوا الاكتئاب والانزعاج عنهم، وأنا أحاول اليوم، بينما بلغت الثامنة والثمانين أن أتصرف بالطريقة ذاتها، أن أشعر بأن الحياة تتدفق بقوة في عروقي) .... الأديب دبليو فريزر

(28) الاكتفاء

يمارس الإنسان النوراني أية طقوس تقرّبه من الفضيلة، فمثلًا عند ممارسة (الزن) يتعلّم عندما يجلس أن لا يتكئ على شيء، بل أن يعتمد على نفسه ويكتشف توازنه وقوته الأصلية، وبتوقفه عن الاتكاء على الأشياء أثناء ممارسته رياضة الزن فهو سيتوقف عن الاتكاء والتمايل في مجالات حياته الأخرى، سيتوقف عن مطالبة الآخرين بالعناية به، وسيتوقف عن التظاهر بالضعف فيدعو الآخرين للقيام بمسؤولياته. إن أعظم كنوز تعلّم ممارسة الزن هي اكتشافه لقواه الطبيعية الخاصة به والاعتماد عليها لتسيير شؤون حياته.

(29) الأعمال اليومية البسيطة

البطولة في نظر الإنسان النوراني هي ليس في إنجاز أعمال خارقة، بل في أداء المهام اليومية البسيطة التي نقوم بها كل يوم مثل الاهتمام بالأولاد وجمع أوراق الشجر من الحديقة وتقشير البصل من أجل عمل حساء للعائلة. إن كل الأعمال ثمينة، أما التفكير بإحالة تلك الأعمال للآخرين من أجل التفرغ لأداء المهام (الخطيرة) لإنقاذ العالم من بؤسه فإن ذلك هو البؤس بعينه. إن الإنسان النوراني لا يسعى أن يكون محطّ الإعجاب أو أن يحصل على نظرات التبجيل، فما ذلك إلا طرق ملتوية لتلقّي الأجر من نتاج العمل وليس من أجل العمل نفسه، إن العمل يمنح الإنسان عزّته وكرامته بغض النظر عن نوع العمل وحجمه. إن الأعمال تتكامل مع بعضها البعض لتخلق الحياة.

يبدأ الإنسان النوراني صباحه بتنظيف شيء ما من حوله مثل ترتيب الفراش وتنظيف الطاولة وإن ذلك يعني له أن يبدأ يومه بالنظام والتواضع، والاهتمام بالعالم المحيط به واحترامه لأنه يعيش بفضله، فالمكنسة في نظره أداة مقدسة. إن ما ينظفه هو روحه قبل كل شيء. إنه يبدأ يومه بذلك العمل البسيط كتهيئة لنفسه بقضاء يوم جديد في العمل والخدمة.

يتذكر الإنسان النوراني أحد أصحابه وكان قد قضى كل حياته ساعيًا للتفوق والإنجاز وجمع أكبر قدر من المال. وفي يوم من الأيام صحا على أزمة ألمّت بقلبه فبدا يلهث متمسكًا بالحياة في كل نفس، وكان كل ما يتمناه في تلك اللحظات هو الحصول على النفس التالي، وأصبح كل نفس جديد معجزة، وقد نسي كل شيء وتهاوى كل ما بناه أمام عينه. لقد فقد الإحساس بالسكينة والأمان وكانت الحياة اليومية العادية من التنفس وجمع أوراق الشجر وتقشير البصل هي جلّ أمله ومناه؛ لقد اكتشف أنه لم يقدّر الحياة أبدًا من قبل. أما الذين يعيشون من أجل المجد فهم لا يدركون أن المجد موجود في كل لحظة من الحياة.

(30) التخلص من الأحمال

إن الإنسان النوراني خفيف الحمل في الحلّ والترحال. إن الأحمال تثقله عن الحركة وتشغله عن التفكير وتجعله مهمومًا بحمايتها ورعايتها. إن تراكم الأشياء في منزله تحجب عنه الرؤية الصافية والتمتع بقوة الفراغ وصفائه، وبذلك يرى جمال منزله الأصلي بلا رتوش، في حين أن تراكم الأشياء تجلب له الضوضاء وتبدد السكينة.

إن الإنسان النوراني يملأ حياته بالمعاني فهو يعلم في أعماق ذاته أن أغلى الأشياء في هذا العالم هي ليست (أشياء)، وعندما يحصّن نفسه من الرغبة الهائجة في التملّك والاستحواذ فإنه يصبح أغنى إنسان على وجه الأرض. إنه يحزن من الذين يحرصون على ملء بيوتهم بكل شيء حتى تصبح ممتلكاتهم هي (أنفسهم)، وهو يشفق على من يتعلّق بالأشياء بحثًا عن الأمان الزائف، أمان التصور بأن قطرة الندى ووميض البرق سوف يبقيان خالدين إلى أبد الدهر؛ ليس الغني من يمتلك الكثير بل من يحتاج إلى القليل. إننا نحتاج إلى القليل من الأشياء لنجعل الحياة غنية بالكثير من الحب والجمال.

كان سقراط الحكيم مقيمًا قرب حفرة إلى جنب نهر، وكان عندما يعطش يخرج من الحفرة فيشرب الماء بكفيه، فأهدى له بعض تلامذته كوزًا فكان يشرب به، وفي يوم من الايام كُسِر كوز الماء فضاق صدره، فحضر تلامذته ليكتبوا على عادتهم، فقال لهم: هذا اليوم اكتبوا عني: القنينة بيت الأحزان ووتد الهموم، وكان يقول من أراد قلة الغم فليترك القنينة.

(31) نفاد الصبر

الإنسان النوراني يكافح كل يوم من أجل السيطرة على القرد القابع في داخله، والذي يقفز من شيء إلى آخر متوثبًا، متلهفًا خائفًا، وغير راضٍ عن أي شيء. مفسدًا كل ما يقع في متناول يده، مثرثرًا بلا توقف، يرفض، ينتقد ويطلق الأحكام جزافًا، مقتنعًا دومًا أن الحق معه فقط، بل ويجعله يأكل طعامه بسرعة بلا استفادة أو استمتاع. إنه يسجن القرد الكامن بداخله في قفص مفتوح القضبان ويجعل حياته أصغر وأضيق رغم وسع الدنيا من حوله. إن الإنسان النوراني يراقب ذلك القرد بكل اهتمام لأنه إذا ما استطال في داخله وأصبح أقوى منه فإنه يمنعه حتى من النوم، بل يجعله نافذ الصبر ومرعوبًا من أتفه الأشياء، ويمنعه كذلك من الحب أو من اكتشاف جمال هذه الحياة والاستمتاع بطعمها.

(32) الإيمان

إن الإنسان النوراني لديه إيمان بقوة الفولاذ، ولكنه إيمان بغلبة الخير على الشر، وإن النهاية ستصبح طيبة وإن لم تكن طيبة فإن النهاية لم تحن بعد، وإن المعجزات تظهر عندما نتحلى بالإيمان ونفعل الأشياء بمحبة ومن أعماق قلوبنا وبدون أن نطلب مقابل ذلك عوضًا، وعندما نكون صادقين فإن هناك كنوزًا عديدة كامنة في طريقنا، وحتى لو جابهنا ظروف سيئة، فإن هناك أخبارًا طيبة مخبّأة فيها.

بعد أربع سنوات عجاف مرّت على قرية فقيرة نائية، جمع رجل الدين أهل القرية ليأخذهم متثاقلًا في رحلة روحية إلى الجبل لغرض تأدية صلاة استسقاء جماعية ابتهالًا إلى الله كي يهطل المطر، وفي تلك الأثناء لاحظ رجل الدين أن من بين أهل القرية صبي يرتدي معطفًا واقيًا من المطر، فتعجب من ذلك وسأله عن سبب استعجاله في لبس المعطف فقد لا يستجيب الله لدعواتنا خاصة ونحن نقوم بتلك الرحلة للاستسقاء منذ أربع سنوات بلا جدوى؟ فأجاب الصبي: إننا مقبلون يا سيدي على هطول مطر غزير بفضل الدعوات القلبية من قبل أهل القرية وكرم الرب الجليل حيث إنه لا يرضى أن تبقى قريتنا كل تلك الفترة في جدب وجفاف، لذا ارتأيت جلب معطفي تحسبًا لذلك، فما هي إلّا لحظات حتى سمع الناس صوتًا عظيمًا قادمًا من السماء، وبدأت قطرات المطر الأولى تنهمر تباعًا، وكان إيمان صبيّ واحدٍ كافيًا لحصول المعجزة في حين أن إيمان ذلك الكاهن وأتباعه الذين كانوا يجتمعون على قمة الجبل للاستسقاء طوال السنين السابقة لم يكن كافيًا ليفيض الله عليهم بالمطر.

(33) الامتنان كنز الحكماء

الإنسان النوراني يعالج (عقله الشحاذ) الذي يطالبه بأشياء لا تنتهي، فيكبح جوعه للامتلاك عندما يهيج عليه عن طريق تربية عقل ممتن وشاكر، فيقوم باستحضار النعم التي لديه، فلا يفكر بما ليس لديه، إنه يعالج تململه واستياءه ونفاد صبره بأن يقول لنفسه: هذا يكفي! إن ذلك يعني في الوقت نفسه الترحيب بعطايا الحياة، بما في ذلك الأشياء الصغيرة التي غالبًا ما تكون هي التي تحمل في طياتها سرّ وجودنا وراحتنا، إنه يستنشق نفسًا عميقًا ويتساءل: من يعطيني هذا الهواء، وأين سأكون بدونه، وما الذي يجب أن أفعل كي أستحقه، وسيجد أن هذا النَّفَس عطاءٌ خالصٌ. إن ذلك التساؤل يوجه انتباهه إلى ما عنده من نِعَم، مما يطفئ النهم الذي يمور في داخله. إن الإنسان النوراني عندما يضغط عليه عقله الشحاذ، ذاك الذي يدفعه بمطالبة الآخرين أن يعاملوه برفق ودلال ويلبوا رغباته، فإنه يقوم بعكس تفكيره فيسأل نفسه عما إذا كان هو نفسه يعامل الناس بما يجب عليه أن يعاملهم من احتفاء وتكريم أو أنه يسبب لهم الآلام بلا أدنى تفكير.

(34) خلاصنا ينبع من داخلنا

إن توأم روح الإنسان النوراني موجود بكامل قيافته في داخل نفسه هو وليس في خارجه، وإن البحث الدؤوب عن توأم الروح ما هي إلا آمال وأحلام لإيجاد حل لمشاكله وتخليصه من بؤسه. إن التوق لتوأم الروح ليس توقًا لشخص ما بل لإنهاء المعاناة والوحدة اللذين يشعر بهما. إن توأم الروح يظهر في داخلنا إذا ما قويت أرواحنا فنرى ذلك في شروق الشمس وعبير الأزهار وعند رؤية الأطفال. إن الحب يصبح وهمًا وسرابًا إذا أريد الاتكاء عليه لحل مشاكلنا، ولا سبيل لخلاصنا إلا عندما نجد السلام في داخل أنفسنا وليس في الخارج.

تروي(بريانداشوشانا) قصة كارلا في كتابها معجزات زن: «لم أتوقع أن الأمور ستنتهي معه بتلك الطريقة، كنا سعيدين والحب يغمرنا فقد بدا لي دومًا الكمال بعينه، إلا أن الواقع عاد ليفرض نفسه. إن هناك شيئًا ما ناقصًا ومفقودًا دومًا، فقد غَدَت بعض صفاته تزعجني، وأخذ يكثر من انتقادي. أصبحت أوقاتنا عادية واختفت تلك الرعشة التي كانت تنتابني عندما كنت أراه أو حتى عندما ألمحه في خيالي، فقد أصبح غريبًا في نظري ولم أعرف ماذا أحببت فيه. لم أعد أشعر أني جميلة في عين نفسي، واختفى ذلك البريق من عيني عندما كان يمر في خاطري وولّى ذلك الزمن الذي كنت أشعر فيه بأني كالملكات أثناء لقائي به، وكان واضحًا أن كل شيء قد انتهى وإلى الأبد». إن كارلا كانت تحيا في قبضة حب مستعار وزائف، لقد خلقت وهمها الخاص وعاشت فيه، لقد أحبت تخيّلها لحبيبها وتصوراتها وأحلامها به، ولم تحب واقعها أبدًا، فقد كانت عاجزة عن حب حقيقة الحياة كما هي وعن رؤية جماله والعيش فيه بتناغم وانسجام.

إن توأم روح الإنسان النوراني موجود في كل لحظة وفي كل مكان يوجد فيه قلب ينبض بالحب والحياة.

(35) التقبّل

افتح يديك، إذا أردت أن يحضنك أحدٌ ما.... رومي.

الإنسان النوراني لا يرفض الآخرين. إننا كلّنا متحدّون من حيث الأصل ورفاق مسافرون عبر هذه الأرض الواسعة، وإن أي إنسان يظهر أمامنا ليس سوى صورة أخرى لنفوسنا. إن الإنسان النوراني كذلك لا يرفض نفسه، بل يتعايش معها، يحاكيها ويتناغم معها، ويغيرها قدر ما يستطيع. والإنسان النوراني لا يرفض ما تقدمه له الحياة، خيرًا كان أو ألمًا.

(عندما غدا متنورًا بالكامل، كان بإمكانه السير عبر الوحل والاتساخ بالماء الآسن بلا أي انزعاج. لقد قبل الوحل ببساطة باعتباره وحلاً، والماء الآسن باعتباره ماءً آسنًا. كان الرجل حرًّا غير متعلّقٍ بأفكار الإعجاب أو عدم الإعجاب) .... دوغن زنجي

(36) لا تفقد الأمل

لقد انتاب الإنسان النوراني الخوف من تحمل مسؤولياته في مرات عديدة وفقد الجرأة والإقدام. ولطالما سبب الآلام لمن أحبهم، وفشل في السيطرة على غضبه، وظنّ السوء ببعض الناس بما لا يجوز، وتغاضى عن حقوقٍ تخص الآخرين، وفي أحيان أخرى سلك طرقات لا يحق له عبورها، فلم يفِ بوعوده وخذل أصدقاءه، ولا يحضره كم عدد المرات التي كذّب فيها بحياته، ولقد عذّب نفسه مرارًا وحمّلها ما لا تطيق ولأسباب تافهة، لقد عاش أيامًا في قلق ومرارة، وفقد إيمانه بنفسه وفقد ثقته بالناس، ولكنه رغم كل ذلك لم يفقد الأمل في أن يصبح يومًا ما شخصًا أفضل.

إن الإنسان النوراني مثل النهر الجاري، ربما تشوبه الشوائب وتغيّر لونه وطعمه النوائب، لكنّه سرعان ما يعود إلى صفائه وعذوبته من جديد. إنه يسعى الآن وما تبقّى من أيام حياته بعزم وتصميم لكي يغدو إنسانًا أفضل.

(37) العالم في قلبه

الإنسان النوراني مرن غير متصلب ورؤيته واسعة للحياة. فقد عركته الحياة وعلّمته أن من يتصلّب ينكسر عوده. وإذا لمحتّه جادًّا في بعض الأحيان فهو يرقص فرحًا وطربًا في داخل نفسه. إن الحياة بالنسبة له رقصة نورانية متواصلة مع كل ما يحيط به من حوله.

إن الإنسان النوراني واع، مستيقظ دائمًا، ومدركًا حقيقة الحياة والأشياء الزائفة التي تغطيها والتي ينشغل بها ويتصارع عليها الآخرون. وبسبب تنوّره ومعرفته للحقيقة فهو ممتلئ بالفرح والأغاني في داخل نفسه، وهو يستمتع بالأحداث التي يصادفها كجزء من طبيعة الحياة، ويمكنه التفاهم على كل شيء في هذا العالم.

(الشخص المتنور هو ضحكه متواصلة وهو ليس برجلٍ جدّي أبدًا، حيثما ترى جديةً فاعلم أن هناك خطأً ما، لأن الجدية جزء من كائن مريض. فلا زهرةً يمكن أن تكون جديةً ما لم تكن مريضة، ولا طائرًا يمكن أن يكون جدّيًا ما لم يكن مريضًا، والإنسان المستيقظ يعي أن الحياة أغنية) .... أوشو

(38) الإقدام

الإنسان النوراني متواصل مع الحياة، والعالم كلُّه يسكن في داخل قلبه، لذا فهو متحرر يصل إلى أي مكان يشاء، إنه يفتح الأبواب الموصدة بينه وبين العالم، ويزيح الحُجُب التي تحول بينه وبين الناس، وبذلك تغدو الحياة أسهل وأجمل من ذي قبل، أما معظم الناس فهم منفصلون عن الحياة ومحبوسين في أقفاص صنعوها بأيديهم. إن البوابة أمام أعينهم ولكنهم لا يرونها، وبدلاً من التحلّي بالشجاعة لعبور البوابة فإنهم يرتجفون ويتردّدون ويدورون حولها، وهم كي يتحرروا من أقفاصهم يلجأون أحيانًا إلى الكحول والمخدرات، ولكنهم بعد ساعات قصيرة يصحون من سكرتهم ويكتشفون عبثهم، وإن عليهم فوق ذلك أن يدفعوا ضريبةً مضافةً ليعودوا إلى ما كانوا عليه، وبينما هم رابضون في قفصهم ينسون أن هناك خلف الباب حياةً حقيقيةً بانتظارهم، وإذا ما واتتهم الجرأة وفتحوا أقفاصهم، فإذا هم ليسوا هُم، ولن يكونوا أبدًا كما كانوا من قبل، ويكتشفون فجأةً أن جارهم الذي كانوا يعادونه منذ عشرات السنين هو أطيب مخلوق وأكرم إنسان.

(نادى عليهم : اقتربوا من الحافة!

قالوا: لا، لا نستطيع ... نحن خائفون.

اقتربوا من الحافة!

لا، لا نستطيع ... نخاف السقوط.

اقتربوا من الحافة!

واقتربوا، ودفعهم من فوقها ... فطاروا) !! ..... شاعر مجهول.

(39) عهد على السعادة

(الأيام التي تجعلنا سعداء تجعلنا حكماء)

جون ماسيفيلد

الإنسان النوراني تجده دائمًا مبتهجًا وسعيدًا لأنه متفائل دائمًا وينظر إلى الجوانب الإيجابية في كل موقف من مواقف حياته، وهو يحمل صورة طيبة عن نفسه وراضٍ عن ذاته لأنه يحرص على عدم إيذاء الآخرين أو جرح مشاعرهم. الإنسان النوراني ودود وقد يتقمص الود إذا لم يكن رائق المزاج، وهو منفتح على الآخرين ويعيش مندمجًا مع مجتمعه، وعندما يقاسي من الوحدة والعزلة فإنه يبادر بالتواصل مع الآخرين.

الإنسان النوراني لديه شعور قوي بالسيطرة على نفسه وعلى مشاعره، ولديه القدرة على قيادة حياته. إنه يخلق مستقبله كل يوم بيديه.

إن الإنسان النوراني قد عاهد نفسه أن يكون أقوى من أن يعكّر أي شيء مزاجه وصفاء روحه، أن يتحدث عن جمال الحياة والسعادة والرخاء مع جميع من يلتقي بهم، أن يجعل جميع من يعرفهم يشعرون أنهم أشخاص مميزون ومهمون.

إن الإنسان النوراني عاهد نفسه على أن ينظر للجانب المشرق من كل شيء، أن يفكر في الأفضل وأن يعمل من أجل الأفضل وأن يتوقع الأفضل، أن يكون متحمسًا لنجاح الآخرين بقدر حماسه نفسه لنجاحه الشخصي، أن ينسى الماضي وأن يتطلع لبناء المستقبل، وأن يستمتع بيومه.

إن الإنسان النوراني عاهد نفسه بأن تكون روحه مبتهجة في كل الأوقات، وأن يبتسم في وجه الحياة ويزرع الأمل في قلب كل إنسان يراه، أن يشغل وقته في تحسين نفسه بحيث لا يكون لديه وقت لانتقاد الآخرين، وأن يكون أكبر من أن يقلق، وأنبل من أن يغضب، وأقوى من أن يخاف، لقد عاهد نفسه أن يحيل أيامه إلى مهرجان من السرور.

(40) حياة بسيطة

يعيش الإنسان النوراني حياةً بسيطةً، ولا تعنيه المظاهر. إن حاجاته بسيطة وطلباته من الحياة يسيرة، وإن ذلك يمنحه فرحًا عظيمًا من متع ومسرات قد لا تُرى بالعين ولا ينتبه إليها الآخرون.

الإنسان النوراني لا يتساءل عن أسباب ما يحدث له من حوادث؛ إنه فقط يأخذ كل ما يأتي إليه، ويذهب إلى أي مكان تحمله الرياح إليه، سالكًا أي طريقٍ تتيسر له، وهو ليس بحاجةٍ إلى أشياء كثيرة في حياته، فحاجاته متواضعة، لا شيء يزعجه ويستطيع النوم في أي مكان، وعندما يستلقي على فراشه فإنه ينام فورًا، ومهما تجوّل وساحَ في أرجاء العالم بجسده أو بخياله فإنه في النهاية يرجع بهدوء إلى بيته، إلى نفسه، إلى قلبه الرابض بين حنايا صدره.

إن الإنسان النوراني رغم أنه إنسان عادي وليس إنسانًا خاصًّا، وليس له مرتبة بين الناس ولكن الآخرين يفتقدوه جدًّا إذا غاب. ومع أنه ليس لديه أي مشروع ينفرد به في الحياة، فإن الحياة لا تستغني عن خدماته. إنه فقط يريد أن يحيا بسلام، ولكي يحقق ذلك فإنه مندمج مع الناس، إنه يذهب إلى السوق بيدين فارغتين ويرجع وقلبه قد امتلأ بالفرح، لأنه أثناء ذلك قد قضى حاجات الناس، بلا عوض من تصفيق أو مكافأة. وبالرغم من أنه لا يحب أن يرأس أحدًا ولكنّ الناس ينصبونه رئيسًا عليهم، ومع أنه لا ينافس أحدًا فإنه غالبًا ما يفوز.

(41) حقيقة العبادة

إن الإنسان النوراني يفهم حقيقة العبادة على أنها وسيلةً للوصول إلى هدف عظيم هي خدمة الناس، وإن سيد العابدين هو أكثر من يخدم الناس وخاصة فقراءهم وأهل المسكنة والحاجة فيهم، وإن العبادة هي وسيلة لتطهير النفس من الآثام وإطفاء شهوة التعلق بالمال والجاه.

يُحكى عن أحد العلماء أنه كان في طواف فريضة الحج، فأقبل عليه رجلٌ صاحبُ حاجةٍ وطلب منه تلبية حاجته، فنزع إحرامه ملبيًّا نداء ذلك الغريب، ففزع صاحبٌ له كان يرافقه مما فعله عندما نزع الإحرام، فقال له الرجل العالم: إن السعي في حاجات الناس هو أفضل من حجة وحجة ... حتى عدّ سبعين حجة. ويحكى أن أبا يزيد البسطامي كان في طريقه إلى الحجّ، فأوقفه رجلٌ قائلًا له: كم تملك من المال؟ فقال: ثلاثين دينار، فقال له الرجل أنا صاحب عيال ولا أملك شيئًا، فما كان من أبي يزيد إلّا أن أعطاه كل ما كان معه، ودار حول الرجل سبع مرات وهو يقول: الآن قد أتممت حجتي ورب الكعبة!

(42) الحياة رحلة

(تسلّقي كل جبل .. واتبعي كل جدول .. وراقبي كل قوس قزح .. حتى تجدي حلمك، وامنحي الناس كل الحب .. كل يوم .. حتى آخر لحظة من حياتك)..... من كلمات أغنية صوت الموسيقى

الإنسان النوراني في رحلة دائمة لا تتوقف أبدًا. إنه يجوب داخل نفسه باحثًا عن خباياها وحالاتها وأسرارها، يريد أن يعرف إلى أين هو ذاهب وأين بيته الحقيقي، هل هو في هذا العالم الذي يعيشه أم أن بيته في مكان آخر، وكلما أمعن في التفكير وجد أن هذا العالم هو بيته المزيف وأنه في رحلة سفر. وعندما يرى الناس يذهبون عابرين، يصحو من سكرته ويتذكّر أنّ هذا العالم ما هو إلّا جسر، وأن عالمه الحقيقي يكمن في مكان آخر وأنه كلّما قلّ تعلقه بهذه الحياة قلّ حزنه من الموت والرحيل. لقد علّمته السنين أن يتصالح مع الموت ويعتبره صديقًا مرافقًا دائمًا له في هذه الحياة، وأن الموت لا يعني انتهاء الحياة، بل تحوّلٌ من حالٍ إلى حالٍ أسمى، ورغم ذلك فهو لا يتوقف عن ممارسة الحياة اليومية والانغماس فيها. إنه يعيش فيها بكلِ جوارحه وكأنه سيحيا إلى الأبد ولكن بلا تعلّق بشيء، إن حقيبة الإنسان النوراني دائمًا موضبةً وجاهزةً للانطلاق في أي وقت إلى العالم الحقيقي الذي ينتظره بعد انتهاء الرحلة.

الإنسان النوراني مسافرٌ دائمًا، وهو إما في حلّ أو ترحال، يسافر مرة بجسده وروحه، وأحيانًا يسافر بعقله عبر الأكوان. إن السفر بالنسبة إليه صنو التحرر من الأمان المزيف الذي يشعر به كلّ من يحلو له الثبات والتعود على العادات. إن السفر مغامرةٌ لاستقبال شعاع النور من المجهول، إنه الانعتاق من المنطق وتقبّل المفاجآت ومصادفة بعض المعجزات.

(هناك من يستطيعون التخلي عن البارحة والغد واليوم، والعبور إلى الشاطئ الأبعد وراء الحياة والموت... هدئ عقلك، تأمل، راقب، لا شيء يقيّدك ... أنت حر) .... الداماباد

(43) الناس المنسيون

الإنسان النوراني ناطقٌ رسمي باسم الناس المنسيين الذين لا يحفل بهم أحدٌ، ومتحدث باسم الصيادين الذين احترقت مراكبهم في عرض البحر وأصبحوا وجهًا لوجه مع أسماك القرش، وبالرغم من أنه لا يحب البؤس ويعلّم البؤساء أن يكافحوا بؤسهم، فإنه يحبّهم ويتعايش معهم ويحيا مع المنبوذين الذين انكسرت أجنحتهم وباتوا في خوف من الغربان.

الإنسان النوراني يلفّه الحزن على الذين تحطمت قلوبهم بعد رحلة حبّ خائبة، فأصبحوا لوحدهم مكسورين، ويواسي من انقطعت به السبل فأصبح عرضةً للذئاب، وأولئك الذين انقطع بهم الطريق فأصبحوا يفترشون الأرض ويلتحفون السماء. إنه ينثر عليهم كلماته الطيبة ويفيض عليهم من دفئه وحنانه.

الإنسان النوراني يحيي العازف الذي لا يجيد سوى العزف وقد انكسرت قيثارته، ويواصل الغناء وقد بحّ صوته، ويواصل الرقص حتى عندما تتداعى ساقيه، ويظل مبتسمًا وقد لفّه حزن نبيل.

الإنسان النوراني يجبر عثرة الكريم ويواسي ضعف الرجال عندما يتعرضون للقهر، وقلبُه على الذين أخرسهم الفقر من الكلام فلا يحفل بهم الناس، أولئك الذين شلهم الجوع من التفكير فلا يستمع إليهم بشر ولا يشعر بوجودهم أحد، ورغم ذلك فإنه يشجّعهم على مواصلة العمل وأن لا يفقدوا الأمل.

(44) كنوزنا في داخل أنفسنا

لا يملك الإنسان النوراني سوى حياته ونفسه، وقد يطوف حول العالم بحثًا عن الكنوز ولكنه في النهاية يرجع إلى نفسه فيجد كنوزه الحقيقية لديه. إن نفسه هي كنزه الدائم ومملكته العظيمة، فإذا ما تعهدها بالرعاية والاهتمام فسيعيش حياةً طيبةً ويلهم الناس من حوله في أن يعيشوا بسلام.

يحكي راسيا كونويل في كتابه (فدادين الماس) القصة التالية:

كان هناك فلاح عاش على ضفاف نهر أندوس، وكان لديه مزرعة جميلة فيها بساتين وحدائق ويملك الكثير من المال وكان لديه زوجة جميلة وأبناء. لقد كان ثريًا لأنه كان راضيًا وقانعًا بما قسم له. وفي أحد الايام زاره رجل دين مسن وقصّ عليه كيف نشأ الكون وأخبره عن تكوّن الصخور والمعادن والأحجار الكريمة، وقال للفلاح إنه إذا امتلك قليلًا من الماس فسوف يشتري عدة مزارع بدلًا من مزرعته الوحيدة ويحظى بعدد أكبر من الخيول والأبقار ويعيش مرفّهًا. ولقد أنصت الفلاح باهتمام كبير إلى حديث الرجل، وفجأة شعر بأنه غير سعيد بما كان يمتلكه في هذه الحياة. باع الفلاح كل شيء وظل يسافر من بلد إلى آخر بحثًا عن الماس. وبعد مرور عامين بدّد كل ما كان يملكه من مال وخسر زوجته وتركه أصحابه وهام على وجهه وحيدًا يعاني الفقر والفاقة. والمفاجأة أن الرجل الذي اشترى منه المزرعة كانت له قصة أخرى، ذلك أنه لاحظ ذات يوم بريقًا لامعًا في الرمال يومض من خلال مزرعة أمامه، وكانت تلك المزرعة هي لذلك الفلاح، وكان ذلك البريق يصدر من ماسة واحدة في أغنى منطقة تضمر في جوفها فدادين من مخزون الماس.

(يسافر المرء حول العالم بحثًا عما يحتاج إليه، ويجده عندما يعود إلى منزله) ... جورج مور

(45) الفوز في الحياة

إن الإنسان النوراني لا يسعى إلى الفوز بل يسعى إلى الحياة، ولا تشغله الرغبة في أن يكون دائمًا في المقدمة بل يهمه أن يكون مع الآخرين. إنه يسعى أن يكون الجميع فائزًا في الحياة.

كانت هناك بطة عرجاء تتسابق مع صديقاتها للوصول إلى النهر، وبينما وصلن جميعًا تأخرت البطة العرجاء عنهن، فقلن لها متفاخرات نحن جميعًا سبقناك إلى النهر وفزنا عليك، فقالت لهم: صحيح أنتن فزتن في سباق الجري إلى النهر ولكني فزت عليكن بأشياء أخرى، فأنا لم أكن أفكر في الفوز فقد كنت أستمتع بالمشاركة، وبينما كنتن تلهثن للفوز، كنت أنا اتهادى في الطريق، وقد صادفت فراشة جميلة سحرتني ألوانها، ومر بقربي سرب من الطيور ملأ قلبي طربًا، ورأيت ورودًا زاهيةً أفرح قلبي طيب شذاها، فمن هو الفائز منا؟

أنا لم أكن أحاول أن أتسابق معكن، فقط كنت أريد أن أستمتع بوقتي.

إن الراقص الفنان لا يحاول أن يرقص أفضل من الآخرين بل فقط يحاول أن يرقص مع نفسه.

(46) عدم القدرة على الحب

أكبر خطيئة يسعى إلى تجنبها الإنسان النوراني هي عندما يجد نفسه مشلول القدرة على أن يحب. إنه يثور على نفسه عندما تلبس قناع التجهم ويلوح عليها جبل من جليد القسوة. إن أكبر همومه هي عند فقدان القدرة على منح المحبة للآخرين. إنه يقاتل خوفه بكل الأسلحة حتى يستعيد إنسانيته ويكون قادرًا على الحب من جديد، إن هزيمته الكبرى هي عندما يجتاحه الشعور بالخوف والخور من القدرة على الشعور بالمودة تجاه كائنات الله.

إن الحب ينثر الحسن والجمال في صحراء الحياة. إنه يتحايل على قسوة الزمن وروحه اليابسة من أجل إضفاء اللمسة الناعمة على الوجود، إذا كان قلبك يشع بالمحبة على الآخرين ... فأنت تشع محبة على روحك.

(47) تغذية الخير الكامن لدى الآخرين

لا تدع اي إنسان يأتي إليك ثم يغادر دون شعوره بحال أفضل.... الأم تيريزا

إن الإنسان النوراني يمتلىء قلبه بالعطف والمحبة بعيدًا عن حسابات الربح والخسارة. إنه يناجي الإنسان الكامن في داخل النفوس المتعبة الخائفة ويذكّرها بأنه لازال موجودًا وأنه لم يمت بعد، ويشجّعه على التحرر للمساهمة في إعمار الحياة.

إن الإنسان النوراني يغذّي كل بذور الخير الكامنة في نفوس الناس ويحررها من السبات لتزدهر وتفيض ثمارًا. إنه يُخرج أفضل ما لدى الآخرين ويلهمهم ليغدوا بشرًا صالحين بدلاً من كتلة من النفوس المحطمة. إنه يساعد كل بادرة طيبة عند الآخرين في أن ترى النور، ويبحث من أعماق روحه عن كل النوايا الإيجابية الكامنة في دواخل الناس، ويروي كل السواقي العذبة التي قاربت أن تجدب في قلوبهم ليعيد إليها الحياة.

ذات مساء قرر أحد هنود الشيروكي أن يقص على حفيده قصة معبرة، فقال له: يا ولدي إن الصراع في داخلنا هو صراع بين ذئبين، أحدهما شرير وهو يعبّر عن الغضب والحسد والندم والشعور بالخيلاء والضغينة والأنانية. أما الآخر فطيّب وهو يمثل البهجة والمحبة والسلام والأمل والتواضع والعطف وعمل الخير والكرم والصدق والإيمان، ففكر الحفيد لبرهة ثم سأل جده: وأي من الذئبين سينتصر؟ فأجابه الهندي العجوز:

الذئب الذي تغذيه!

(48) صخور في الطريق

إن أرفع درجات الحكمة البشرية هي معرفة مسايرة الظروف، وخلق سكينة وهدوء داخليين على الرغم من العواصف الخارجية ...... دانيال ديفو

الإنسان النوراني يتعامل مع العقبات كما تتعامل السماء العالية مع العواصف والغيوم والرياح. إنها تأتي وتروح وتبقى السماء كما هي في ثباتها وسكونها، إن السماء تحافظ على صفائها وتدع كل شيء ينشأ ويختفي من تلقاء ذاته، تأتي الغيوم وتذهب، وكذلك العواصف والزوابع والرياح، كلها تحضر وتأفل، وتظل السماء كما هي أبدًا عالية ساكنة وصافية.

إن الإنسان النوراني لا يدين الصخور التي تعترضه في الحياة، فكل إدانة لها تزيدها قوةً، إنه يلاحظها فقط، وينتبه لها ببساطة، وشيئًا فشيئًا تفقد تأثيرها، ولربما اعترضته ثانية ولكنها لن تزعجه لأنه لا يتذمر منها بل يتفاداها، إن العقبات هي خواطر وأفكار تنشأ وتمضي بعيدًا كالغيوم في السماء، فإن كنا يقظين لها حين تأتي ولم نتفاعل معها أو نتّحد بها، ستعبر الذهن دون خلق أي اضطراب، وبذلك ستبقى عقولنا بعد ذلك متوازنة مرتاحة، تتأمل حدوث الأشياء ولكن لا تغرق فيها.

(49) التكيف سر البقاء

الإنسان النوراني يتحمل كل العواصف التي تهب عليه، وأول ما يخطر بباله هو كيف يمتص العواصف ويتكيف معها. فتسحقه مرةً ضربةٌ، وتبهجه مرةً أخرى فرحة! وهو في كلتيهما لايسأل لماذا، لا يرفض إحداهما ويتقبل الأخرى، بل يستقبل كليهما برضًى وامتنان، إنه لا يسأل عن الأسباب التي أوصلته على ما هو عليه من أوضاع، بل كيف يمكنه أن يعيش بأفضل ما يمكن في تلك اللحظة، وكيف يتعايش مع مستجدات حياته، وكيف يجعل نفسه قادرًا على العودة والانغماس في الحياة من جديد.

في كل صباح باكر تجد الحدائق في مدينة بكين تعج بالمسنين من الرجال والنساء وهم يمارسون رياضة الكي كونغ رغم أجسادهم المتعبة. إنهم يجابهون الألم باستنشاق عبير الصباح، ويغالبون الوحدة والفراغ بمواصلة الحياة حتى آخر لحظة من حياتهم.

لقد اندثرت الديناصورات منذ زمن سحيق لعدم تكيفها، وبقيت السلاحف حتى الآن لأنها تكيفت مع متغيرات الحياة.

(50) نفسك مملكتك

كان هناك ملك يحكم شعبًا ويملك أرضًا شاسعة مليئة بالخيرات، ولكنه كان دائم الغم والحزن، واحتار الأطباء في علاجه وإخراجه من حزنه رغم كل الخيرات التي هي طوع يديه، فاستشار إنسانًا نورانيًّا في مملكته معروفًا بالعلم والحكمة وقال له: أيها الحكيم، إني أملك كل شيء يحلم به الناس ورغم ذلك فإني دائم الحزن والأسى، فأجابه الإنسان النوراني: أيها الملك، إنك لاتملك كل هذه الأشياء، وإنما هي التي تملكك وتتسلط عليك، وهي التي تجلب لك عناء الرعاية والاهتمام، والخوف من الزوال، إن مملكتك الحقيقية هي نفسك، وهي معك أينما تكون، وأن تكون ملك على نفسك فهو خير لك من أن تكون ملكًا على كل العالم.

(51) التصالح مع النفس

الإنسان النوراني متصالح مع نفسه، وبسبب ذلك فإنه متحفز لمحبة كائنات الله على الأرض والتصالح مع الآخرين، وإن أياديه ممدودة للتواصل والانفتاح. إن السلام العميق الذي يغمر روحه يجعله في حالة تفاهم وانسجام مع الآخرين، ولا تهزّه التغييرات الدائمة التي يجابهها كل يوم ولا تجعله مضطربًا. إن سكونه الداخلي يمنحه حاسة نبيلة لالتقاط أية سانحة لجعل الأجواء المحيطة به متفائلة ومطمئنة، إنه في حالة هدنة دائمة مع نفسه، ويعرف كم هي ثمينة حياته، فلا يبددها بالمعارك الوهمية.

إن أفضل أعمال الإنسان النوراني هي من نتاج عقله الهادئ ، وإن كل ثروات العالم لا تعادل قلبه الذي امتلأ بالسكينة. إن مفتاح السلام مع الآخرين يبدأ من النفس التي هي الأقرب والأولى بالمحبة والرفق، وعندما يفعل ذلك فإنه يجد نفسه تنساق بسهولة لنشر المحبة والسلام من حوله.

إن الإنسان النوراني قد عقد اتفاقًا مع نفسه بالتوافق بشكل أبدي. إنه يتقبل صورته بلا شروط، ويرضى عن مزاياه التي لا يمكن تعديلها بلا اعتراضات، وعندما أقر ذلك سكنت نفسه واستقرت روحه، وبدأ يتصالح حتى مع ما ترسّب من ماضيه وأحزان طفولته، ومحا من ذاكرته كل الأنفاق المظلمة والمرارات التي مضت وما برحت تطل عليه وتؤرق يومه. إنه يريد أن يحيا يومه وغده. إن التصالح مع الذات يعني أن نعيش الواقع كما هو من دون أن نفرض عليه قوانيننا أو معتقداتنا.

(52) التناغم والانسجام

إن الإنسان النوراني يشعر بأن الكون متناغم ومتناسق وليس ثمة خطأ هناك. إن كل شيء في الوجود تام وكامل، رغم أن أغلب الناس يشعرون بأن هناك نقصًا وخطأ في مكان ما، إنهم غير منسجمين مع أنفسهم، متخاصمون ويقاومون الأحداث في كل حين. إنهم يلهثون بحثًا عن شيء وهمي مفقود.

كان أحد أصحاب المقامات الرفيعة على وشك القدوم إلى دير (زن)، فطلب معلّم الدير من تلاميذه الرهبان تنظيف الدير وجمع أوراق الشجر المتساقط على أركان الحديقة احتفاءً بالضيف الزائر، وقد أكمل الرهبان عملهم على أتمّ وجه، فأزالوا العشب الضارّ والغبار من الأشجار وقاموا برشّ الصخور المحيطة بالحديقة بالمياه فبدت متألّقة تحت أشعة الشمس، جلس معلّم الدير على مصطبةٍ قريبةٍ ليرى ما إذا كان الرهبان قد فعلوا كل ما ينبغي لقدوم الضيف الكبير، فكان كلُّ شيء على ما يرام، ولكن المعلّم غادر المكان فجأة وأحضر سطلاً مليئاً بأوراق الشجر القديم وأمام أعين الرهبان نثرها مجددًا في الحديقة النظيفة قائلًا: والآن فإن حديقتنا هي حقًّا حديقة كاملة!

لقد كان المعلم يعلّم الرهبان، إن العمل كافٍ بحدّ ذاته، وبغضّ النظر عن نتائجه، وكل ما تأتي به الحياة ستكون مصدر قبولنا ورضانا، وإن مكونات الحياة تتكامل بعضها مع البعض ويجب أن نتخلّى عن عنفنا وقوّتنا في فرض نظرتنا الأُحادية على الحياة التي هي بطبيعتها غامضة ومتشابكة، ليتحول ذلك العالم الذي نهوى أن يكون بالأبيض والأسود إلى طيف من الدرجات اللّونية من أزرق وأرجواني وبنفسجي وأخضر، وحينها لا حدود للجمال والألوان التي ستنكشف لنا.

(53) عيون لا تبصر الجمال

إن الإنسان النوراني يلمح الجمال في كل الأشياء وإن روحه الحساسة المشتعلة بالحياة تنفعل مستبشرة لأي لمحة جمال تلوح له. إن الدهشة تسكن قلبه والسرور لا يفارق روحه. إن له عينين تشعان بالفرح عندما يلمح ظهور البدر، ويبشر أصحابه عندما يكتمل القمر وكأنه خبرٌ عجيب. ويفرح من أعماقه إذا رأى غيمة تلوح في السماء، وعند الغروب يسارع الخطى نحو النافذة ليستمتع بمنظر الشمس عند الغروب، إنه مسكون بالفرح والدهشة في كل الأوقات.

إذا زرتم بلدة بشري في لبنان وعرّجتم على قبر الشاعر العظيم جبران خليل جبران، ستجدون على شاهد قبره الحكمة العميقة التالية : «إذا أردت أن تراني فاغمض عينيك». لقد أراد جبران بتلك الحكمة الخالدة التي تركها على شاهد قبره أن يقول لنا: إذا أردتم أن تروني على حقيقتي فانظروا لي بقلوبكم، كي لا تشغلكم المظاهر الخارجية عن رؤية ذلك الكم الهائل من الجمال الكامن في قلبي.

(54) ما بين اللذة والسعادة

في يوم من الأيام جلس الإنسان النوراني على شاطئ البحر وأمسك بحجارة وخط بيده على رمل البحر:

إني بشر مثل الناس تتقاسمني يومًا الرغبة في اللذة وفي أخرى تشدّني الرغبة في السعادة.

إن اللذة ضعيفة لأنها نتاج الأخذ والشهوة والأنانية والتفكير بالنفس ورغباتها، أما السعادة فإنها قوية متماسكة لأنها نتاج البذل والعطاء والإيثار ونشوة الروح عند رؤية الفرحة ترتسم على محيّا الآخرين.

اللذة هي نشوة وقتية تدغدغ الحواس مثل الريح أو مثل ماء البحر المالح لا يروي قطّ بل يشعرك بالعطش الأبدي كلما شربت منه. إنها كالسراب يسرّ الناظر من بعيد ولكنه يتبخر ويزول عندما تقترب منه، أما السعادة فإنها عميقة تنساب إلى أعماق الروح.

اللذة هي الأنا العجولة التي تريد تنفيذ نزواتها مثل الأطفال، الآن وفي هذه اللحظة، ولا تفكر أبدًا بالآخرين، أما السعادة فهي تلك السيدة الكريمة الرائقة بسكونها، وكالأميرات المتوشحات بالرضا والسلام التام.

اللذة طاحونة هوائية كبيرة من الخشب المتهالك ينهار إذا ما فاجأتها الريح، أما السعادة فإنها مربوطة بالروح مع كل ما فيها من غاليات الكنوز والأسرار الدفينة. إن اللذة سعادة سطحية عابرة أما السعادة فإنها لذة عميقة دائمة. إن السعادة تزخر باللذة ولكن اللذة قد يلوحها نسمة من السعادة.

اللذة هي نفحة من العطر النفاذ تنتشر بسرعة وتزول بسرعة، أما السعادة فهي العبير الذي يفوح من الأزهار متسلّلًا إلى خفايا الروح كالنسمة الرقيقة. إن اللذة تأتي عندما نعمل لأنفسنا والسعادة عندما نعمل من أجل للآخرين.

في أوقات اللذة، يسرع بك الزمن كالريح فلا تقدر على الإمساك به وتسحبك اللذة من كل أرجاء جسدك نحو الارض، أما في لحظات السعادة فإن الزمن يصبح ملكك وطوع أمرك وتغدو روحك كالبساط السحري فلا تطيق حمل جسدك الثقيل، وكأنها تريد أن تحلّق بك في أعالي السماء.

اللذة هي كل ما يلده الأخذ، أما السعادة فهي بعض ما يثمره العطاء، وباقي ثمار العطاء تحفظ لك عند رب السماء.

(55) معنى الشجاعة

سأل الإنسان النوراني تلاميذه عن معنى الشجاعة، فأجاب أحدهم: إن الشجاعة في نظري هي عندما أنجح في عبور النهر السريع الجريان في قريتي في الشتاء القارس، وأجاب تلميذٌ آخر: إن الشجاعة هي عندما أنجح في صدّ قطيع الذئاب عن التهام أغنامي. وقال ثالث: أما أنا فأعتبر نفسي شجاعاً فقط إذا نجحت في أن أصرع جاري القوي الفارع الطول.

فأجابهم المعلم: إن كل ما ذكرتموه صحيح، ولكنّ الوجه العظيم للشجاعة هو عند تفادي الحكم على نوايا الناس، إنه الإقدام على المجهول بعد وضوح الرؤية رغم احتمال الفشل.

إن الشجاعة هو الاعتراف بالهزيمة على رؤوس الأشهاد، والاعتراف الصادق بالخطأ والجهل، وتقديم الأعلم والأكفأ لإنجاز المهام.

إن الشجاعة عند كبار النفوس هو عندما ننجح في ترويض رغباتنا الكامنة في فرض سلطتنا على المحيطين بنا بألف صورة مخفية، مثل إجبار أولادنا على أن يصبحوا صورة منا، أو فرض مفاهيمنا ورؤيتنا على الآخرين من حولنا.

إن الشجاعة هي عندما ننجح في السيطرة على مشاعرنا من أن تنساق مع الموجات السوداء من القسوة التي تخطر على الأذهان.

وهي الإمساك بزمام النفس من الانسياق وراء أوهام النعم العابرة التي تأتينا على حين غفلة من الزمن فنظن أنها تدوم .. ولن تدوم.

إن الشجعان الحقيقين هم الشجعان على أنفسهم.

(56) محارتي في جيبي

ذهب الإنسان النوراني يومًا إلى البحر ليسبح على ضفافه منتشيًا بنسيم الهواء وزرقة المياه، وفجأة سحبته الأمواج بعيدًا عن الشاطىء وأشرف على الغرق والهلاك، لولا أن امتدت يد الرحمة فانتشله حراس الشاطىء من البحر بعد شدة وعناء. فجلس مدة ساعتين على الضفة ليستعيد أنفاسه مسترجعًا هول ما رأى، وقد تراءت له حياته الماضية، فأخذ سلة وجمع فيها عددًا من المحار المنتشرة حول الشاطئ، وخط على كل محاره، قاعدة ذهبية من قواعد الحياة الطيبة، وقرر أن يعيش باقي حياته بشكل جديد.

كتب على المحارة الأولى: سأقول هامساً شكرًا إلهي إنني اليوم أتمتع بصحة جيدة، وكل حواسّي تعمل بانتظام وإنني قادرٌ على الحركة والنهوض والانطلاق لتحقيق أهدافي، سأفكر مليًّا بالنعم العظيمة التي حباني الله بها وأشكره على ذلك آلاف المرات، لن أتذمر من النواقص التي لا تخلو منها حياة أي بشر.

وكتب على المحاره الثانية: سأقبّل أطفالي وأحضنهم كل يوم حتى أستمد من براءتهم البهجة، ولن أفوّت على نفسي أي فرصة لمنح الحنان والرحمة لأي أحد.

وعلى المحارة الثالثة كتب: سأغنّي مع نفسي لتحاكي الطبيعة في الاستبشار فرحةً مع كل يوم جديد، وأطلب منها أن تكون رفيقة معي ولطيفة مع الآخرين. سأعيش من أجل هدف سامٍ يستفيد منه الآخرون. سأعيش أهدافي وأتنفسها كل يوم وأبث الأمل والتفاؤل في نفوس الآخرين.

وكتب على الرابعة: سأتخذ مع نفسي قراراً منذ الدقائق الأولى من كل صباح جديد أن لا أغضب مهما حصلت لي من أحداث، وأن أحافظ على سكينتي وهدوئي طوال يومي، منغمسًا في الحياة بحيوية، ومتفاعلًا بمرونة مع الآخرين، وألّا أسمح لعواصف الهموم أن تحوم فوق رأسي مهما حملت لي أيامي من آلام، سأحرر نفسي من الحياة في الماضي أو الغرق في القلق على المستقبل وسأعيش اللحظة فهي كل ما أملك في هذا اليوم.

وكتب على المحارة الخامسة: سأعمل كل يوم ولو شيئًا صغيرًا لخدمة أهلي ومجتمعي بدون انتظار مكافأة أو تعويض، ولن أحاكم الآخرين على أفكارهم ومعتقداتهم، ولن أطلب من الآخرين أن يشبهوني ويصبحوا نسخة مني في آرائي فقد خلقنا الله مختلفين كباقة من الزهور المتنوعة الألوان، سأسامح الآخرين على هفواتهم وسأكون إنسانًا عطوفًا، فكل سلوك من الآخرين يبعث على الضيق يعني أن هناك شخصًا محبطًا يطلب العطف.

وضّب الإنسان النوراني محاراته الخمسة في السلّة، وانطلق بعيدًا عازمًا أن يعيش حياةً طيبة.

(57) مفتاح التغيير في جيبيك

إن الإنسان النوراني يتخلى عن الرغبة العارمة في تغيير الآخرين. إنه يسعى لتغيير نفسه ودفعها نحو الأفضل وبلا قسوة وشدة. إن ذلك يولّد في داخله سكينةً تغمر روحه بالسلام، وتمنحه الصفاء لتأمّل ما يجري من أحداث بوعي ينفذ إلى عمق الأشياء فتتكشّف الأسرار وتتوضّح له الخفايا فيفرّق بين العابر والسطحي وبين ما يدوم ويفنى، ويتواصل مع ذاته الداخلية فيتعرف على مكنوناتها، وكلّما زادت قدرته على التأمل والوعي بإنسانيته والفهم لنفسه وللمحيط من حوله، ازداد حكمةً وسكينةً والتفت إلى نفسه ليغيّرها بدلًا من تلك الرغبة المحمومة في أن يغيّر الكون إلى ما يهوى ويريد.

جلس الأب ذات يوم يطالع الجريدة وكان مصممًا أن يستمتع بعطلته، فجاء صغيره وهو يطلب منه الخروج للنزهة، فنظر أبوه في الجريدة التي كان يقرؤها فرأى على إحدى صفحاتها صورة لخريطة العالم، فما كان منه إلا أن قطعها إلى قطع صغيرة ونثرها أمام ولده قائلًا: إذا أصلحت هذه الخريطة فإني أعدك بأن نخرج للنزهة. ثم عاد ليستمتع بقراءة جريدته وهو يقول لنفسه: إن أكبر أستاذ في الجغرافيا لن يستطيع تجميع هذه الخريطة. ولكن الطفل عاد بعد عشر دقائق قائلًا: هذه هي الخريطة، فذهل الوالد مما رأى وقال لطفله: كيف نجحت في تجميعها بهذه السرعة؟ فردّ عليه الصغير: عندما أعطيتني صورة الخريطة نظرت في خلفها فرأيت صورة إنسان فقلت في نفسي: إن أنا أصلحت هذا الإنسان فإنّ خريطة العالم بطبيعتها ستنصلح.

(58) يكمن النور في قلب الظلام

إن نقطة النور في أعماق الإنسان النوراني تبدأ من الرغبة الحارة في تقبل العطايا والمنح الربانية بكل أشكالها وصفاتها واعتبارها جميعًا وحدة واحدة، بعضها يكمل الآخر. وكل هبة إلهية تحمل في جوهرها هبة أخرى، فيتشابه لديه حلو الأيام ومرّها ويرضى بكل ما سبق أن كان، ويتقبل بامتنان كل ما يجري له مما تخفيه الأيام، تلك التي لاطاقة له في تغييرها، أما ما يمكن تغييره فالشجاعة ومواصلة العمل بلا ملل هما طريقه العظيم للوصول إلى أهدافه.

يذكر (أوشو) أنه عندما كان شابًا يافعًا، بنى والده منزلًا جميلًا، ولسبب ما انهار المنزل قبل عدة أيام من الانتقال إليه، وكان والده حينئذ في سفر خارج البلدة في مكان بعيد، فأرسل إليه أوشو برقية مستعجلة يعلمه بانهيار البيت ويطلب منه سرعة الحضور، فلم يرد أبوه على البرقية. ولما رجع من سفره بعد انقضاء عمله، كان أول ما فعله هو أن عاتب ابنه بشدة قائلًا: لقد تصرفت يا ولدي بشكل سيئ! لقد انهار البيت، فلماذا أهدرت عشر روبيات في إرسال تلك البرقية والتي كان يمكن توفيرها لشيء أفضل ، وعلينا أن نشكر الله أن البيت قد انهار قبل أن نسكن فيه، ولولا رحمة الله لكان قد قضي علينا جميعًا تحت الأنقاض، ثم دعا جميع أفراد القرية للاحتفال بمناسبة نجاتنا من انهيار المنزل على رؤوسنا.

(59) هـرّ المُعلّـم

سأل أحدهم إنسانًا نورانيًّا قائلًا له: هل إن الله بعيد منا أم إنه قريب؟ فأجابه: بل إنه أقرب إلينا من حبل الوريد. إن بعض الناس أرادوا أن يصوروا الله بعيدًا ، مرعبًا ، مخيفًا، ويصعب الوصول إليه حتى يتوسطوا بينك وبينه وبذلك تصبح لديهم سطوة وحظوة، بالإضافة إلى ما تجود عليهم من المال نظير قيامهم بتلك الوساطة بينهم وبينك، إنهم يجعلونك تموت من الخوف والرعب منه، ثم يعرضون عليك الأمان والخلاص من ناره، فلا مفر لك من تمجيدهم وتقديسهم وبذلك يحصدون لأنفسهم المكانة السامية والمنزلة الرفيعة في المجتمع.

إنهم يريدون أن يصوروا الله ، خالق الجمال وبارئ الأحاسيس المرهفة، المتناهية الرقة، راغباً في أن يرى عبيده مرعوبين ومشلولين. إنني ورغم كوني مجرد إنسان أود أن أجد ابني بقربي فرحًا سعيدًا يراني ويناجيني متى شاء بلا وسيط، فكيف بالإله الذي يحبنا ويرعانا أكثر مما نفعل لأولادنا! إننا نقضي ردحًا من الزمن ونحن نتوسل من أولئك الوسطاء أن يمنحوننا بعض السلام وشيئًا من الراحة النفسية والإحساس بالأمان ويتوسطوا بيننا وبين الله حتى يدعنا وشأننا، وكأن الله قد خلقنا لكي يرينا مرّ العذاب ويسومنا صنوف القهر والأذى.

في إحدى القرى النائية اعتاد المعلم الكبير ممارسة طقوس العبادة مع هرّ أثير لديه. وعندما مات المعلم فإن تلاميذه أبقوا على حضور هرّ المعلم لتلك الطقوس احترامًا لذكراه ! وهكذا جرت الأمور لسنين عديدة، فاعتقد التلاميذ الجدد من بعدهم أن سبب وجود الهرّ لا بدّ وأن يحسّن من أدائهم للطقوس الدينية وعاشوا طويلًا على ذلك الاعتقاد. وبعد مئات السنين تولّى معلمٌ جديدٌ أمر التلاميذ وكان لا يحب الهررة، فاستهجن فكرة وجود هرّ مع التلاميذ لتحسين أداء الطقوس فأمر بإبعاده ووجد معارضة شديدة جراء ذلك، ولكن في النهاية تغلّب على معارضيه، وشيئًا فشيئًا بدأ التلاميذ لا يشعرون بغياب الهرّ أو أثره في أداء طقوسهم وبدأوا يكتبون في عدم فائدة الهررة، فخرجت وإلى الابد فكرة ضرورة وجود الهر من أجل تحسين أداء الطقوس الدينية، وخلال تلك السنين الطويلة التي قضاها الهرّ بين التلاميذ لم يسأل أيًّا منهم عن جدوى جلوس الهر قابعًا بين صفوفهم.

عندما تبحر إلى الله على سفينة المحبة بعيدًا عن الهررة، فإن الرحلة ستكون مليئةً بالإثارة والمغامرة، وفيها ما لا يحصى من الكنوز والمفاجآت السعيدة والعطايا اللامتناهية الجمال، ووحدهم المغامرون الذين لا يخشون العواصف والرياح العاتية سيصلون ويفوزون بغنائم عظيمة.

(60) لو عشت من جديد

كتب الإنسان النوراني في مفكرته يومًا:

لو عشت من جديد، لعشت حياةً بسيطةً ولم أحفل بالشهرة والألقاب، وقمت ببعض الأفعال المجنونة وارتكبت بعض الحماقات، ولعبت أكثر مع الصغار.

لكنت عبرت عن حبي وشوقي لأحبابي، وسامحت أعدائي ومسحت من قلبي كل أحقاد الدنيا وكنت أكثر لطفًا وحنانًا، وتغافلت عن خطايا الآخرين وعشت معهم على قدر فهمهم للأمور.

لما كنت قد أخذت الحياة بمثل هذه الجدية التي أنا عليها، ولضحكت على هفواتي وحماقاتي.

لسافرت أكثر، وتجوّلت في حواري المدن وأزقتها وكأني أراها لأول مرة، وجعلت كل يوم أعيشه وكأنه آخر يوم من عمري واحتفلت بكل صباح جديد.

لو عشت من جديد، سأرقص كما لو أن لا أحد يراني، وأغني كما لو أن لا أحد يسمعني!

لو عشت من جديد لأكثرت من الكلام الطيب، وعشت حياةً مليئةً بالمعاني، وابتعدت عن الأشياء الصغيرة وشغلت نفسي بالمهام الكبيرة.

لو عشت من جديد، لقمت بثقب نصف جيوبي على الأقل حتى أدسّ فيهما قلقي وهمومي. ولكنت مررت على جارتي، المغنية العجوز مرة في الأسبوع على الأقل، وصبرت أكثر على سماع أنينها من وحدتها، وخيبتها من نفسها عندما سرقها الفن ولم تنجب أبناءً لها يسلّونها في مثل هذه الأيام الصعبة. لقلت لبائع الخبز الأفغاني، الذي لم تفارق الابتسامة وجهَه قطّ منذ أن رأيته قبل أكثر من عشر سنوات، كم هو طيّب وصبور وكم أن خبزه طازج لذيذ.

لو عشتُ من جديد لجرّبت كل شيء حتى أكتشف مكامن قدراتي ومهاراتي، وتسلقت الجبال لأرى جمال قوس قزح وهو يطلّ على الجداول والوديان، وتعلمت فن الرسم على وجوه الأطفال وكيف أعمل الضفائر لشعر ابنتي الطويل، ودسست حفنتين من الحلوى كلّ صباح في جيبي لأهديها لأولاد المحلة عندما أراهم يلعبون.

(61) لا تغضـب

الإنسان النوراني يمتلئ قلبه بالسلام والسكينة فلا تنفذ إليه أية مسحة من الغضب، لأن الغضب بغض مبطن، إن البغض حريق يضطرم في الذهن فيؤدي إلى الغضب والمعاناة. إنه يميز الغضب عندما ينتابه فيصرفه بعيدًا ليحافظ على قلبه رائقًا وقادرًا على منح العطف والمحبة لكل الكائنات.

إن الإنسان النوراني لا يعبر عن استيائه من الحوادث التي تلم به، ولا يلعن الظروف والناس، لأن ذلك يستنزف طاقته وقوته، ويؤثر على ملامح وجهه فيغدو باهتًا. إنه لا يتلفظ بالكلمات الجارحة، لا يسب ولا يشتم أبدًا، ولا يطرح إلا الأفكار الإيجابية، ولا يقول إلا الكلمات الطيبة. إن الإنسان النوراني يحتفظ بمشاعره السيئة لنفسه ويشاطر مشاعره الإيجابية الآخرين.

كان هناك أبٌ يعاني من الغضب المتواصل لولده، فلما أعيته الحيلة، أحضر ذات يوم كيسًا مليئًا بمسامير طويلة وطلب منه أن يدق مسارًا كلما اجتاحه الغضب على سور الحديقة الخشبي، وفي اليوم الأول دقّ الابن سبعة مسامير على اللّوح الخشبي، وفي اليوم الثاني خمسة، ولصعوبة دق تلك المسامير فإنه تعلّم أن يسيطر على غضبه يومًا بعد يوم، وبعد أيام ذهب الوالد معه وخلع تلك المسامير من السور وهو يقول: انظر يا ولدي إلى صعوبة خلع المسامير، وكذلك هي صعوبة معالجة نتائج الغضب، والأسوأ من ذلك الندوب التي تركتها المسامير على السور الخشبي وكيف أنها تشوهت جراء ذلك، وهكذا عندما تغضب فإنك تترك آثارًا مثل تلك الندوب في نفوس الآخرين، ومهما تأسفت فإن الجرح سيظل رابضًا هناك.

إن الإنسان النوراني يعزز احترامه لنفسه وتقديره لذاته عندما يسيطر على انفعالاته، ولذلك السبب قد أصبح سيدًا للكائنات وقائدًا لمخلوقات الله على الأرض.

(62) لا تعش وحيدًا

يسعى الإنسان النوراني إلى تخفيف أحزان الإنسان وإسعاده، وتجميع الناس وحثهم للعيش سوية بعيدًا عن العزلة والوحدة، لأنه عندما يغدو لوحده فإنه يكون أكثر حزنًا وبؤسًا. إن الحياة هي رحلة بين الأيام تخفّ قساوتها لو كانت تعاش مع الآخرين.

سألت موجة في البحر صديقتها الموجة التي تليها: لماذا أراك حزينة مهمومة؟ فقالت الموجة الثانية: كلما أتذكر بأني سأرتطم باليابسة ولو بعد حين، ينتابني الحزن والأسى. فقالت لها الموجة الاولى: ذلك صحيح، لأنك عزلت نفسك عن المحيط وتعيشين بمفردك، اما أنا فسعيدة لأني أعيش كجزء من المحيط بكل ما به من سعة وقوة.

وقد أنشد الشاعر والفيلسوف عمر الخيام في واحدة من أجمل رباعياته عن مصير الإنسان ونهاياته وكيف أنه مثل قطرة الماء التي لن تحيا في مجد حقيقي أو تعيش إلى الأبد في خلود وسرمد، إلا إذا ذابت في البحر وهو منتهى أمرها وذروة حياتها.

إن الإنسان النوراني يحب أن يحيا كموجةٍ مع باقي أمواج البحر ووردةٍ بين ربى الورد. إنه يجتمع مع العازفين لينشدوا بتناغم قطعة موسيقية جميلة. إنه يبدّد أحزانه عندما ينشد أغنية الحياة مع الناس، ويحيط نفسه بالأصدقاء الذين يتمتعون بروحٍ طيبةٍ ويعيشون حياةً بسيطة.

(63) ماكنة خلق السعادة

(أول علامةٍ على كونك صرت متدينًا هي كونك صرت مبتهجًا، فكل شيء يصبح نعمة وبركة، وكل وجه إنساني تراه يجلب لك البهجة. أنا سعيد أنني ولدت، سعيد أنني عانيت ما عانيت، سعيد أنني تخبطت طويلًا، سعيد أن أدخل إلى السلام) .... سوامي فيفنكنندا

يسعى الإنسان النوراني في خلق حالة من السكينة والرضى في داخل روحه، ويبعد عنها كل ما يسبب التوتر، فلا يشعل الحرائق في قلبه بالغلّ، ويخلّصها من مشاعر الندم والغضب، وينظر لأمور الحياة بطريقة مرنة، ولا يؤجل اتخاذ القرارات، إنه يمارس النشاطات والهوايات التي تجلب له الحيوية والمسرة، ولا يتعايش أو ينغمس بقوة مع الأشياء، ولا يتماهى ويتداخل مع حوادث الأيام فيفقد بذلك سكونه وتوازنه.

تحاور صديقان فقال أحدهما للآخر: تبدو لي سعيدًا ومسرورًا في حياتك يا صديقي، لا بدّ أن ماكنتك على أفضل ما يرام، فأجابه الثاني: أي ماكنة تقصد، فقال: أقصد ماكنة خلق السعادة، فقال الثاني: إني لا أملك مثل تلك الماكنة ولا أعلم عنها شيئًا، ولكني أتذكر قبل عشرين عامًا كانت لديّ ماكنة ممتازة لخلق التعاسة، فقمت بتعطيلها وقد يكون ذلك هو سبب سعادتي.

(64) رصاص من كلام

إن الإنسان النوراني يكتب لكي يحرر نفسه من قيودها، ولكي يداوي جروحه التي فشل الطب والعطارون في علاجها. إنه يكتب ليبدد قلقه؛ ذلك القلق الذي لن يزيل مشاكل غده ولكنه يبدّد سلام يومه، وعندما يخاف على نفسه من الانجراف نحو الخطيئة فإنه يكتب أفكاره لنفسه أينما كان ولو على الرمال وكأنه يناجي نفسه ويرجوها أن تبقى على المسار الحق، حتى تترسخ الفضيلة في كيانه.

إن الإنسان النوراني يكتب ليتخلص من إيقاع الحياة السريع ومن التفكير السلبي الذي يشل طاقته ونشاطه ويقلل رغبته في الحياة، إن الكتابة تحرره من الخوف وتبعث في روحه الحياة وتكشف أسراره ومكامن ضعفه، وافتضاح خيبته من نفسه التي فشلت في بناء مدينة ألعاب يتزحلق فيها الأطفال في مدينته الصغيرة.

إنه ينسحب إلى صومعته ويكتب عندما تقهره الذئاب المتصارعة في الشارع وهي تتقافز وتتقاتل على المخلفات وعلى توافه الاشياء، إنه يكتب الحكايات ويختلق الروايات ويبتكر شخوصًا من نور ويحول ذئاب الشارع المتصارعة إلى بشر كما فطرهم الله فتتفاهم وتتناغم، وتعيش بودّ وسلام، إنه يكتب علّه يلهم في يوم من الأيام أناسًا ليبنوا دنيا أجمل من دنياه.

(65) روح الطفولة

جلس الإنسان النوراني ذات يوم يراقب ابنه الصغير، فاكتشف أن ابنه يضحك بسهولة ولأدنى الأسباب بلا حاجة إلى سبب مقنع، ووجد أنه ينسى مضايقات أقرانه ولا تسكن الأحقاد قلبه، فلا يبيت غارقًا في التفكير أو ساهرًا مع الأحزان. ووجد ابنه سرعان ما يتوقف عن البكاء بدون أن يبحث عن سبب لتوقفه، ويباشر اللعب وكأن شيئًا لم يكن، فلا يحتاج إلى دهر كي يسترجع مزاجه.

وجد الإنسان النوراني أن ابنه يحمل كنوز العالم في مخيلة رأسه فيملأ عالمه بالمرح والحيوية، دون أن يحمل هموم الكون على أكتافه الضعيفتين وكأن الله لم يخلقه إلا لكي يحلّ مشاكل العالم. ووجده يصادق كل من يراه بكل يسر ويمسك بيد من يقابله في لمح البصر ليلعبا سوية.

وجد الإنسان النوراني ابنه لا يتوقف عن المغامرة والفضول واكتشاف المخابئ وخوض غمار الأخطار، فلا ينام خائفًا وطالبًا السلامة. ووجده لا يحمل همّ ما حصل له في الماضي ولا يفكّر في ما جرى له ليلة أمس، بل يعيش اللحظة.

(سر العبقرية، أن تحمل روح الطفولة إلى الشيخوخة) ...... فيكتور هوجو

(66) الوعاء الخشبي

إن الإنسان النوراني يمنح أغلى حبه وأكبر اهتمامه لعائلته الصغيرة ويكرم والديه أجل الإكرام. وان الدروس العظيمة في حياته قد يتعلمها من أطفاله الصغار. وإن ما يفعله اليوم من سوء قد ينساه ولكنه سيجازى به يوم ما في الغد.

كان هناك رجل عجوز يعيش مع ابنه الوحيد وزوجة ابنه وحفيده ذي الأربع سنوات، وفي يوم من الأيام وبينما كانوا جميعًا يتناولون العشاء، ارتجفت يد العجوز وانسكب الإناء الزجاجي الذي يحوي على طعامه على المائدة فتلف الطعام وانكسر الإناء، فانزعج الابن وزوجته من الأب العجوز وقررا أن يعزلاه في زاوية من زوايا البيت ليأكل طعامه في وعاء خشبي بعيدًا عنهما، وكان الطفل ذو الأربع سنوات يشاهد ما يجري في صمت، وظل العجوز يأكل طعامه لوحده حزينًا منكسرًا، وفي يوم من الأيام لاحظ الأب ابنه الصغير وهو يلعب بقطع خشبية صغيرة على الأرض، فسأله بلطف عما يصنع بتلك القطع الخشبية، فأجاب الصغير بكل براءة : إني أصنع وعاءين خشبيين لك ولأمي لتأكلا فيهما عندما تكبران . قال الطفل ذلك لأبيه وانهمك في عمله من جديد، سمع الأبوان ما قال، فصمتا طويلًا ثم بدأت الدموع تنهمر من عينيهما، وقد عرفا تمامًا ما يترتب عليهما فعله نحو العجوز عندما يحين موعد العشاء، وفي مساء ذلك اليوم كانت العائلة بأكملها وبمن فيهم الرجل العجوز يجلسون جميعًا على المائدة نفسها لتناول العشاء سويًا.

(67) ستكون رجلًا يا بني

عندما ينير الله قلب الإنسان النوراني بالمعرفة، فإنه يحافظ عليها مثل كنز نادر. إنها خلاصة العرق والدم والفشل وخيبات الأمل، وكذلك ساعات الرجاء ولحظات البهجة والفرحة الغامرة ضمن مسار طويل متعرج، فإذا ما غنم بذلك الكنز فإنه يرغب من كل قلبه بتسليم تلك الأمانة إلى الأجيال القادمة ليكون بذلك قد ترك بصمته على الحياة. إن الحكمة جوهرة عظيمة تحتاج إلى قلب متنور وروح حساسة لالتقاطها.

أوصى زودياك كبلنغ ابنه قائلًا: يا بني، إذا استطعت أن تحتفظ برأسك عندما يفقد كل من حولك رؤوسهم،

إذا وثقت بنفسك عندما يفقد كل إنسان ثقته فيك،

إذا استطعت أن تنتظر دون أن تمل من الانتظار، وأن تتحمل عندما يعاملك الآخرون بالكذب دون أن تلجأ إليه،

إذا استطعت أن تكون موضع كراهية ولكنك لا تدع لها مجالًا كي تتسرب إلى ذاتك، وأن تبدو أفضل مما ينبغي وأن لا تتكلم أكثر مما يجب،

إذا استطعت أن تحلم دون أن تدع للأحلام سيادة عليك، وأن تفكر دون أن تجعل الأفكار غايتك القصوى،

إذا استطعت أن تجابه الفوز والفشل دون أن تفقد توازنك،

إذا استطعت أن تخاطب الجماهير من غير أن تتخلى عن فضائلك، وإذا عجز الأصدقاء والأعداء عن إثارة حفيظتك بإيذائهم إياك،

إذا كان الناس كلهم عندك سواسية،

إذا استطعت ان تفعل كل ذلك، فلك الارض وما عليها، وفوق ذلك كلّه ستكون رجلًا.. يا بني!

(68) خطايانا الكبرى

يدرك الإنسان النوراني أن خطاياه الكبرى في الحياة تبدأ عندما يوجّه أحاسيسه في استحضار إخفاقاته الماضية، وعندما يستعذب مشاعر السخط والبؤس، وعندما يحسب أن سحابات الغم التي تظللّه أحيانًا سوف تظل راكمةً على حياته إلى الأبد.

تبدأ خطاياه الكبرى عندما لا يمعن النظر بدفء في عيون الآخرين، وعندما يتكبر على احتضان شركائه في الحياة وتقبيل أولاده كل يوم، وعندما يتوقف عن الغناء والرقص مع الإنسان الساكن في داخله.

تبدأ خطاياه عندما يقضي أيامه محنّطًا في حالة رسمية من الجدّ التام بلا لحظات ذهبية من الضحك والهزل، وهي هدايا السماء العظيمة التي تشعره في غفلةٍ من الزمن بالعزّ والعظمة.

تبدأ خطاياه الكبرى عندما لا يرى الفرص الكامنة لتحسين أوضاعه بعد كل محنة ومعاناة، ولا يرى الفرص المستترة خلف قناع الأزمات، وعندما يستغرق في الهمّ عند اشتداد الظلام وينسى خيوط الفجر وهي تتجمع وتتشابك وتتوجه إليه بخطى متسارعة.

تبدأ خطاياه عندما لا يستحضر مشاعر المودة والرحمة للآخرين، لتشع بالتالي دفئًا على نفسه وروحه، فتعمل على تحسين أمزجته وأحواله.

عندما يكون الإنسان النوراني تعيسًا، فإن ذلك يعني بأن هناك خطايا يقوم بارتكابها بحقّ نفسه، بخلاف إرادة الله في أن يحيا حياةً طيبةً.

(69) الأعمى والكسيح

دخل الإنسان النوراني يومًا إلى إحدى القرى فوجد أهلها غارقين في الشقاق، يتصارعون على الدينار والدرهم فلا يفكر أحدهم إلا بنفسه، حتى كثر الفقراء وشح الرزق وذهبت البركة عنهم. وفي يوم من الأيام وبينما كان الرجل النوراني يجوب سوق القرية وهو يعج بالباعة الذين تتعالى أصواتهم من كل جانب، فإذا بحريق هائل يشبّ فجأةً في ذلك السوق وعلا ضجيج كبير بين الناس وأصبحوا في هرج ومرج، وصاروا يركضون في كل مكان هاربين من الحريق، وكان هناك شحاذان أحدهما أعمى والآخر كسيح، يجلسان متقابلين في السوق المزدحم يسترزقان من عطايا المتسوقين، فالأعمى يتصدق عليه من يمر على الجانب الأيسر، والكسيح له زبائن الجانب الأيمن من السوق، وكانت أيامهم تجري بود وتراحم وكانا يتقاسمان ما يحصلان عليه في نهاية اليوم من صدقات المارة، ولما حصل ذلك الحريق، انتبه الكسيح أولًا ثم أحس الشحاذ الأعمى بما يجري، وبينما امتدت ألسنة اللهب في أنحاء السوق جفل الشحاذان واحتارا فيما يصنعا لإنقاذ نفسيهما من تلك الورطة، فالأعمى قد أشكل عليه الطريق، والكسيح لايقوى على الهرب، وبينما هما في تلك الحالة من الخوف والهلع، لمحت فكرة في بال الأعمى وكان فطنًا، فقال لصاحبه الكسيح: سأحملك على كتفي وأتولى أنا المسير بينما تكون أنت عيني لتوجهني إلى طريق الخروج من السوق حتى ننجو من الموت، وهكذا ركب الكسيح على ظهر الأعمى وبتوجيه منه سار الأعمى لينجوا معًا من الحريق. فقال الإنسان النوراني: لو كان أهل القرية يتعاونون ويتراحمون مثل الأعمى والكسيح، لعاش أهل القرية بخير وعمّ الرزق عليهم جميعًا.

(70) جوهرتان

لدى الإنسان النوراني جوهرتان، الأولى هي جوهرته الداخلية الخاصة به وتمثل روحه الداخلية وعلاقته بنفسه، والثانية جوهرته الخارجية وتمثل تمازجه وتواصله مع الآخرين.

جوهرته الداخلية محاطة بجوهرته الخارجية، وكل منهما تتفاعل مع الأخرى، تأخذ منها وتعطيها، تستمد منها القوة وتمنحها الطاقة أيضًا. الخارجية تصون الداخلية وتحميها وتمنع عنها الأذى وتمنحها الوسع والمدد، والداخلية تعطيها العمق والجذور والسكون وكل منهما تكمّل الأخرى.

جوهرته الداخلية تمثل شخصيته وخصوصيته وحريته واستقلاليته، أما الخارجية فتمثل عالمه الأكبر ومحيطه الأوسع. جوهرته الداخلية هي قطرة الماء والخارجية هي البحر الواسع، فالقطرة تافهة لوحدها ولا وجود للبحر لولا تلك القطرات. الإنسان النوراني لا يهمل جوهرته الداخلية ولا يذيبها لصالح الخارجية، لأنها ستكون أفضل عندما تكون قوية مستقلة، وفي الوقت نفسه فإنه لا يقطع التواصل مع الخارجية لأنها تستقوي بها وتحتمي بظلالها.

الإنسان النوراني لا ينسى نفسه عندما يعيش بين الناس، ولا يهمل حاجاته، لأنه إذا ما عاش لغيره فقط فسينقطع عطاؤه بعد برهة من الزمن، ومن أجل أن يطول أمد عطائه للناس عليه أن لا ينسى نفسه، والبعض الآخر ينسى الناس فلا يعينهم ولا يتراحم معهم فيهمله الآخرون، فمن أجل نفسه يجب أن يهتم بالآخرين ويتواصل معهم. إنه والآخرين يصبحان جوهرتين متداخلتين، تتمازجان وتتواصلان في كل لحظة.

الإنسان النوراني يحب الناس كل حب الدنيا ويمنحهم كل الود والحنان في كل آن، ولكنه لا يسحق جوهرته الداخلية من أجل أي شخص كان.

على كل ورقة ورد أن تحمي نفسها من عواصف الرياح والحشرات الهائمة، وأن تحافظ على رونقها وجمالها لتجذب قطرات الندى إليها، فإذا فعلت كل ورقة ورد ذلك، فإن الوردة بأكملها تصبح أجمل.

(71) عندما ينضج الإنسان

الإنسان النوراني يتحمل مسؤولية حياته، ويتقبل ما لا مفرّ منه بالكامل، فلا يعتبر نفسه ضحية للظروف والأحداث، وفي الوقت الذي يثابر من أجل حل أزماته ويبذل جهده لتحسين وضعه، فإنه يستقبل بكل أريحية وهدوء أخطاؤه بنفسٍ راضيةٍ وساكنةٍ.

وقد يشعر الإنسان النوراني أحيانًا بالضعف وتقل ثقته بنفسه وينتابه الشعور بأنه ضحية وأن الناس يعادونه ويضمرون له الأذى، وأن الظروف كلها ضده وسوء الحظ يلازمه، وقد تسيطر عليه مشاعر الطفولة فيلوم الناس والزمن في كل مشكله تمر عليه وكل فشل يقابله وكأن العالم قد تفرغ لمعاداته، ولكنه سرعان ما ينهض لمواجهة الحياة والوقوف أمام الصعاب متحمّلًا ما يترتب عليه من مسؤوليات، ومتقبلًا الفشل والخسارة فيعتبرهما جزءًا حيويًّا لا يتجزأ من الحياة. فقد تضمر الخسارة فرص ربح غير منظورة، وفي الوقت نفسه فإنه يحتفل بالانتصار والفوز.

عندما ينضج الإنسان النوراني ويتخلص من بقايا الطفولة، فإنه يتوقف عن التشكي والصراخ والأنين واستجداء العطف وندب الحظ، ويتوقف عن تحميل الآخرين حل مشاكله ولومهم عما يجري له، ويسعى بنفس راضية إلى حل أزماته.

إن الضعف والحاجة إلى الآخرين ما هي إلا مجموعة من الأفكار، تتعزز في كل مرة عندما نوجّه سهام اللّوم إلى الظروف الخارجية، ونتخلى عن مسؤولياتنا وقيادتنا لسفينة حياتنا.

إن الإنسان النوراني يعتبر أن الماضي رغم الخيبات والتجارب المريرة فهي جزء من بناء مراحل التطور التي مر بها حتى وصل إلى ما هو عليه الآن. إنه يسامح كل من أساء إليه في الماضي، لأنه قد ساهم في نضوج شخصيته وتكاملها، وإن الأحزان التي غمرته أثناء معاناته من تلك الأزمات قد منحته حكمةً عظيمةً.

(72) التسمر في متاهة الجمود

عندما تهب رياح التغيير على حياة الإنسان النوراني فإنه لا يجزع أو يتذمر، بل ينتبه ويكون في غاية اليقظة فقد يكون مقبلاً على حياة جديدة. إنه يجهز نفسه للاحتفال بذلك التغيير.

عندما تهب رياح التغيير على الإنسان النوراني فإنه يشحذ منجله للحصاد، فقد يحظى بما كان ينتظره منذ سنين. إنه لا يحارب التغيير ولا يقاوم حركة الزمن. إن البطولة الحقيقية لديه هي عندما يتأقلم بشكل إيجابي مع المتغيّرات التي تهجم على عالمه المعتاد بين حينٍ وآخر.

قال فيلسوف الصين العظيم كونفوشيوس:

(الخطر يحلّ عندما يشعر الرجل أنه آمن في سربه.

الدمار يتربّص بأي شخص يحاول إبقاء الأمور على ما هي عليه.

الفوضى تنشأ عندما لا نضع كل شيء في موضعه.

الرجل الأكثر سموًا لا ينسى الخطر عندما يسود الأمان.

الرجل الحكيم لا ينسى احتمال الدمار عندما يسود الاستقرار.

الرجل الذكي لا ينسى احتمال حدوث الفوضى عندما يكون عمله منظمًا).

إن الإنسان النوراني يستبشر بالتغيير عندما يحل عليه، فكلّ الأشياء في الحياة وقتية، وإذا ما كانت أموره تسير على ما يرام فإنه يتمتع بها إلى أن يحين وقت زوالها في أية لحظة، وإن لم تكن كذلك فإنه يصبر عليها حتى تأفل بعد أن تستكمل أوانها، فلا شيء ثابت أبدًا عدا شيء واحد فقط هو تغيّر الأمور وتبدّل الأوضاع، وانهيار سلطة وخفوت قوة، وانتقال الأشياء من حالٍ إلى حال، وعلى المساق نفسه تنعكس أوضاع آخرين من ضيق وهموم إلى سعد وفرج، وكل شيء على الأرض في مخاض وتحول، وحكمة الإنسان العظيمة هي في قدرته على التأقلم والتكيف والسكينة والثبات، ومسك زمام النفس في لحظات التغيير.

الإنسان النوراني إذا اضطرته الظروف لتغيير طريقه المعتاد، فإنه يستمتع بالمناظر الموجودة في طريقه الجديد، لقد طور في نفسه مهارة رؤية الحالة الإيجابية فورًا في كل تغيير يصادفه، مستبصرًا كل اللآلئ الكامنة في الموقف الجديد.

كان هناك أربعة اشخاص يعيشون في متاهة، وهم الفأران ستيف وسكوري والقزمان هيم وهاو. وكانت الأمور تسير بينهم على أفضل ما يرام لأنهم عثروا على مصدر ضخم لطعامهم المفضل وهو الجبن، لدرجة أن هيم وهاو نقلا بيتيهما ليكونا قريبين من ذلك الجبن الذي أصبح

مصدر حياتهما، لكنهما لم يلحظا أن الجبن وبمرور الزمن قل حجمه إلى أن وصلا ذات صباح ليجدا أن الجبن قد اختفى. تقبل الفأران ستيف وسكوري خسارة اختفاء الجبن بسرعة وانطلقا فورًا داخل المتاهه بحثًا عن مصدر آخر للجبن. أما القزمان فقد وجما في مكانهما في ذلك الصباح بعد أن انهارت آمالهما في الحياة وانتابتهما الشكوك والأوهام، فمرة يقول هيم إنهما تعرّضا للاحتيال، ويقول هاو: لا إنها سرقة مكشوفة، وكانت ظنونهما تلك ووقوفهما بدون تحرك قد جعلت الأمور تسير بشكل أسوأ. وبينما القزمان غارقان في وحل من التفكير في ما قد جرى، كان الفأران قد مضيا في طريقهما وتمكّنا من العثور على مصدر جديد للجبن..... من كتاب (من حرك جبنتي) لسبنسر جونسون.

(73) الحركة أو الفناء

إن الإنسان النوراني يتخلص من أفكاره القديمة ومعتقداته التي أثبت الزمن أنها من مسببات التعاسة له ولمن حوله، لأن معظم القيود التي يكبّل بها نفسه هي من صنع يديه، وأكثر الحواجز التي تمنعه من التقدم والتغيير هي من وحي أوهامه، إن القدرة التي يمتلكها في تغيير حياته هي قدرة مذهلة ولكنها رابضة في ثنايا نفسه بانتظار إشارة منه للبدء في إجراء التغيير. إن مهارة الانقلاب على النفس ومراجعة ما اعتاد عليه من سلوكيات هي صفة أساسية لديه لينجو بنفسه ويستعيد حياته المفقودة.

إن المزارع البارع يقوم بين الحين والآخر بحرث التربة وتقليبها لإعادة الحياة إلى عروقها فتشعر بالنشوة والانتعاش وترى النور بعد أن كانت ترزح في الظلمة. إن المزارع البارع يعلم يقينًا أن تربته تفسد إذا بقيت راكدةً في مكانها، عالقةً في موضعها، وهي تريد أن تضحك للشمس وترتوي من ضيائها. إن حياة التربة هي في نسمة الهواء التي تردّ لها الروح وتمنحها الحياة. إن حقائب حياتنا تحتاج إلى إعادة توضيبها من جديد بين حين وآخر، لنكتشف أثناء ذلك الزوايا التي لطالما نسيناها والجيوب التي أهملناها.

بذل المعلم الحكيم ساعات طويلة مع التلميذ الجديد لتعليمه المبادئ والعلوم الجديدة ولكن كلّ ذلك كان بلا جدوى لأن التلميذ كان معتدًّا بنفسه ويفتقر إلى المرونة ولا يرغب بتغيير أفكاره وما اعتاد عليه من معتقدات، ولمّا يئس المعلم منه، دعاه يومًا لتناول الشاي، فقام المعلم بصبّ الشاي لنفسه أولًا ثم بدأ وبهدوء تام بصبّ الشاي في قدح تلميذه، ولمّا امتلأ كأس التلميذ، واصل المعلم صبّ الشاي في الكأس الذي طفح بالشاي وتسرّب إلى ما حوله، فصاح التلميذ مذعورًا: ماذا تفعل أيها المعلم؟ فأجابه: إن هذا الكوب يشبه عقلك، ولن تستوعب أي فِكر جديد إذا لم تتحرك وتفرغه مما علق به.

(74) فن كسب المعارك بلا عنف

(حين يتمكن الإنسان من الإحجام عن أذى الآخرين، ستكف كل المخلوقات عن استشعار العداوة في حضرته) .... سيري راما كريشنا

إن الإنسان النوراني يكسب معاركه بدون الاضطرار إلى استخدام العنف، إن غريزة البقاء تدفعه لابتكار أساليب ذكية للدفاع عن النفس في صراعه من أجل البقاء والصمود أمام قوى الشر التي كانت ولازالت موجودة منذ الأزل. إنه يدافع عن نفسه بدون إراقة الدماء. إنه إنسان شجاع ولكنه لا يتخلى عن الانضباط والالتزام بالقيم الإنسانية العالية مثل الشرف والاحترام. إنه يستفيد من طاقة المعتدي واندفاعه فيعكسها على المعتدي نفسه للتخلص منه بطريقةٍ راقيةٍ تحوّل طاقته السلبية إلى طاقة إيجابية.

إن الإنسان النوراني يعيش حياته بذكاء ويقاتل خصومه بدهاء، إنه يستخدم القوة الناعمة التي تجعله يفوز بخسائر قليلة وقد تجعل خصمه يفوز أيضًا بتعلّم بعض قيم الإنسان النوراني العظيمة في الشرف والرجولة الحقة. إنه فنان عظيم في الفوز في حياته اليومية وكسب المعارك أثناء تعاملاته المعتادة مع الناس الذين اعتادوا على سلب حقوق الآخرين بدون الاضطرار إلى استخدام العنف وإراقة الدماء.

لقد كان البعض من أصدقائه الأصغر حجمًا والأقلّ قوة يعانون كثيرًا في صدّ اعتداء من يفوقونهم في ذلك ولكنّهم ، عندما تعلّموا رياضات الدفاع عن النفس بدون استخدام العنف ، نجحوا في إخماد الشرّ الكامن في نفوس أولئك المعتدين وذلك بتجميع القوة المحدودة لأجسادهم الضعيفة لتصبح عندئذ أكثر تركيزًا وبالتالي أوسع قوةً لمجابهة الظالم.

إن الإنسان النوراني متصالح مع الوجود، وبالرغم من شجاعته فإنه لا يخاصم ولا يسبّ ولا يفجر، وليس له عداوات مع الناس.

(75) التحليق رغم الخوف

إن الإنسان النوراني يملك قلبًا شجاعًا فيتواصل بسهولة مع من يختلف معهم وينبذ الخوف من قلبه ويكسر مشاعر العظمة الزائفة وردود الأفعال المجهولة عند إبداء رغبته في إعادة بناء الجسور المنهارة معهم.

إن الحرية الحقيقية بالنسبة إليه هي حرية الإقدام على التسامح وجرأة التواصل مع من لا يحبهم ومع من يختلف معهم، ففي لحظة قد ينقلب العدو إلى صديق والمخالف إلى رفيق.

إن التحرر من الخوف هو التحرر من عُقد الماضي الكامنة في أعماقنا والتي تعيق تقدمنا، والتحرر من أوهام غدٍ مظلم لن يأتي، ومشقة عبور جسور مخيفة غير موجودة على الإطلاق. إنه التحرر من تلك الوحوش التي تملأ قلوبنا بالخوف كلما أبدينا تواضعًا ورفقًا تجاه الآخرين.

إن الإنسان النورني يحلق ولو على أجنحة مكسورة ليحرر نفسه من الخوف ويلتقط لحظات الرحمة ولو في الجو العاصف. إنه يسير بنهج الغفران، ويمسك فرص المحبة بأسنانه كما تمسك الأضلع بجوانحنا.

إن التحرر من الخوف يشبه تحرّر اللآلئ من داخل ظلمات الأصداف والسباحة عالياً حتى تصل فرِحةً إلى جيد المرأة الحسناء.

في مقدمة كتاب الخيميائي ذكر مؤلفه باولو كويلّو قصة ذلك المتصوف الذي سأله تلميذه عن أهم معلميه في الحياة، فقال المتصوف: «إنه كلب! ففي يوم من الأيام كنت متوجهًا إلى النهر لشرب قليلٍ من الماء، عندما ظهر ذلك الكلب فقد كان عطشًا مثلي، لكنه عندما اقترب من حافة النهر شاهد كلبًا آخر فيه، ولم يكن ذلك غير انعكاس صورته في ماء النهر، عندها دب الفزع في الكلب فراح ينبح باذلًا كل وسعه ليبعد الكلب الآخر من النهر، ولكن شيئًا من ذلك لم يحصل، وفي النهاية وبعد أن غلبه الظمأ استجمع الكلب شجاعته وواجه الوضع بأن ألقى نفسه في النهر، وكان أن اختفت الصورة متخلصًا بذلك من غريمه الموهوم، ومن الخوف الذي سكن في قلبه والذي شلّه من الحركة ليروي بعد ذلك عطشه وينهل ما يشاء من الماء العذب».

(76) العالم وعاء كبير

يتأمل الإنسان النوراني في الكون فيرى كيف خلق الله عالمًا فسيحًا لامتناهيًا، يزخر بما لا يخطر على البال من زينةٍ وجمالٍ وكل ما يجعل الحياة سهلةً يسيرة.

إن الله واسعٌ غير محدود وقد خلق الكون على شاكلته كذلك، ولكنّ الإنسان محدود الرؤية والبصيرة يفكّر على قدر عقله الصغير، ويريد أن يحبس الكون في زجاجةٍ تناسب حجم تفكيره، ومن هنا تنشأ آلامه وأحزانه. إن البعض يخاف من الفضاء ويندهش من سعة السماء، ويرعبه عدد النجوم وهي تسبح عميقًا في الآفاق، ويتمنى لو أن الأزهار كانت بلونٍ واحدٍ، والأشجار تتحول فجأةً إلى نسقٍ واحدٍ، وكلّ ما خلق الله من طيرٍ وهوامّ يتحركون بشكل واحد.

ذهب أحد التلاميذ إلى معلّمه شاكيًا له مما يعانيه من مشاكلٍ لا تحصى في حياته وطلب منه النصح والمشورة، فطلب منه المعلم أن يضع فصًّا من الملح في كوب ماءٍ صغير، وطلب منه أن يشرب من ذلك الكوب، فوجد التلميذ أن الطعم مالح للغاية، وعندها طلب المعلم من التلميذ هذه المرة أن يضع فصًّا من الملح في نبع ماء ويشرب منه، ففعل التلميذ ووجد أن طعم الملح قد اختفى، فقال المعلم: «إن المشكلة ليست في الملح وإنما في حجم الوعاء الذي تشرب منه الماء».

إن الإنسان النوراني يواجه العالمَ بوعاءٍ كبير فتذوب أمامه الصعاب، ويخرج إلى العالم بعقلٍ كبيرٍ ومرونةٍ في التفكير، فتحل أمامه العقدُ المتشابكةُ والمشاكلُ المستعصية، وتغدو الحياة رحلةً جميلةً.

(77) الأحزان النبيلة

عندما تمر على الإنسان النوراني أيام من الحزن والوجع الداخلي فإنه يتعايش معهما بهدوء وسكينة، لا يثور ولا يغضب، ويراعي الناس من حوله ويحافظ على تعاطفه معهم، وفوق كل ذلك يتسامى على جروحه ويرسم بكل نبل ابتسامةً على محيّاه. إنه يمضي قُدُمًا في أداء مهامّه رغم الأحزان، ويواظب على إنجاز أعماله رغم الفشل وخيبات الأمل، ويواصل حياته برفق وثبات.

عندما يرجع الإنسان النوراني من رحلة صيد فاشلة وهو يجرجر شباكه خاليةً مما تجود به البحار، وقد خابت أحلامه من صيدٍ وفيرٍ، فإنه لا يفقد أمله من رحمة الله بصيدٍ وفيرٍ قادم، لينهضَ مجدًّا في يومه التالي ومجدّفاً قاربه مع الريح في صباحٍ جديدٍ، ويصارع غمّه بابتسامةٍ تضيء وجهه الحزين.

تحدّث أحد المفكرين يومًا مع رجل قد ناهز عمره الثمانين يبتسم بوقار رغم حزنٍ نبيلٍ يلوح في عينيه فسأله: يبدو أنك تعيش وحيدًا، فأجاب: نعم، لقد عشت ستين عامًا مع شريكةً حياتي وقد أحببتها منذ الأيام الأولى لنا في الجامعة وعشت معها أحلى السنين، ولما كبرنا كنت أكثر ما أخاف عليها هو أن أموت وأتركها وحيدة، فلما طالتها يد الأقدار قبلي، واسيت نفسي قائلًا: حسناً.. إن أفضل امتنان أقدمه لها تعبيرًا عن حبي هو أن أتحمل لوحدي الضعف والوحدة بدلًا منها، وقد وعدتها تلبيةً لرغبتها أن لا أدع الابتسامة تفارقني مهما جارت عليّ الأيام.

(78) الطريق إلى السعادة

إن الإنسان النوراني يمتلك قواعد ذهبية للسعادة. إن حفاظه على شعور طيّب تجاه نفسه، والرضا عن الذات باستذكار إنجازاته الماضية، والنجاحات التي حققها في تحسين حياة الآخرين، كلّ ذلك يعزّز ثقته بنفسه ويزيد من شعوره بالراحة والسعادة. إن طريقه إلى السعادة تمرّ عبر ملء الوقت بشكل خلاق وحبّ العمل والشغف به، والمرونة والانفتاح والقدرة على التكيّف الإيجابي مع متغيّرات الحياة، وتطوير حسّ الدعابة من أحداث الحياة. إن السعادة إحساس بالرضا ينبع قبل كل شيء من داخل نفسه ومن مكنونات ذاته. إنه يعزز قوته الداخلية لكي تصمد أمام مفاجآت الحياة وتقلباتها، ويعزز في نفسه الضبط الداخلي والسكينة التامة تحت أي ظرف كان.

إن الإنسان النوراني تغمره السعادة من أشياء صغيرة. إنه يتميز بالتفاؤل والتفكير الإيجابي وتبسيط المشاكل وعدم أخذ الأمور بحساسية وجدية دائمًا. إنه يعيش في عالم من المودة والانبساط والاندماج مع المجتمع والتواصل بمحبة مع الآخرين، إن الرحلة هي كل ما لديه من ممتلكات. إنه يخلق الفرح لنفسه أينما يكون، وإن كنزه يكون حيثما هو يكون.

إن الإنسان النوراني متحفزٌ دائمًا للحب ومسامحة كل المخلوقات والتفكير المتواصل بالرضا والامتنان لكل شيء. إنه يخفف إيقاع سرعة حياته حتى يعيش ويتمتع تمامًا بها، لأن ما يهمّه هو عيش اللحظة، والتوجه الهادئ لتحقيق أهداف الحياة، إن السعادة بالنسبة إليه حالة ذهنية وتربية فكرية وإيحاءات وتأكيدات إيجابية، إنه يخلق بيده سعادته.

(79) الكراهية بطولة حقيقية

الإنسان النوراني لا يكره. إنه يستجيب بسهولة لأي تحريض على الحب، إن الكراهية عنده لعبة محفوفة بالمخاطر، لأنه عندما يكره الناس فإنه يبدأ بكراهية نفسه في الوقت ذاته، إن الكراهية شعورٌ موجّه ضد نفسِه وستصيب سهامُها جسده. إن الكراهية حوارُ النفس مع النفس، وهي مجرد مشاعر وأفكار تدور في رأسه، أما الآخرون فهم مشغولون بحياتهم واهتماماتهم، إنه يتجاهل المشاعر السلبية من بعض الناس، فتلك مشكلتهم مع أنفسهم وهم يتحملون تبعات تشويه قلوبهم.

قالت تفاحة لصاحبتها التفاحة الأخرى المعلقة معها على الغصن نفسه : أنا اكرهك، فأجابتها الثانية: وأنا لا أكرهك، فأغاظتها تلك الإجابة، فقالت لها: ولكني أمقتك وأتمنى لك الهلاك، ولو كنت أمتلك يدين لمزّقتك إربًا، فأجابتها التفاحة الثانية: بالنسبة لي أنا مرتاحة ومشغولة بعملي وأريد أن أنمو وأنضج وأستمتع بوقتي مع صديقاتي الفراشات وأشم نسيم الهواء الصافي ولا أريد أن أشغل نفسي بما تفكرين به من غلّ وكراهية. ومرت الليالي والأيام والتفاحة الأولى محمومة القلب بالحقد والكراهية للثانية، حتى أصابها الضعف والهزال وعَلَتها الصُّفرة والذبول من التفكير والقهر لعدم مشاركة التفاحة الثانية مشاعرها، فما إن هبّت عليهما أول عاصفة، حتى كانت الثانية قد سقطت وأصبحت في مهبّ الريح فريسةً للطيور والديدان.

إن الإنسان النوراني يرتعد خوفًا من الكراهية، لقد تركها للأبطال الشجعان، أولئك الذين لديهم جرأة هائلة على الاستهتار بأنفسهم والاستخفاف بحياتهم. إنه لا يكره حتى لا يفقد أقوى أسلحته وهي قدرته على الحب.

(دخلت على الخليل بن أحمد الفراهيدي وهو جالس على حصير، فقال: تعال واجلس، فقلت: لعلني أضيق عليك، فقال إن الدنيا بأسرها لا تسع متباغضين، وإن شبرًا في شبرٍ يسع متحابين) ...... الأصمعي

(80) الحياة الطيبة

إذا بدأ الإنسان النوراني يفقد استمتاعه بالأشياء الجميلة، وتسيطر عليه الأفكار السلبية وموجات الهموم ويغدو حساسًا ومتوترًا وفاقدًا للأمان وأصبح وحيدًا معزولاً ولا يطيق صحبة الآخرين، وعندما تصبح حياته فوضى في كل شيء، ديون، معاناة وحياة بلا هدف، عند ذاك، يبادر إلى الإبحار في رحلة إلى داخل نفسه، ليكتشف الأسباب والأسرار التي أدت به إلى هذه المشاعر السلبية، ويقوم بإعادة ترتيب أولوياته وأهدافه، وإعادة تنظيم حياته والسيطرة عليها وقيادتها إلى برّ الأمان.

إن الإنسان النوراني ينأى بنفسه من الذوبان في هذا الكم الهائل من وسائل الاتصال والزحمة والسرعة والضغوط المربكة في هذا العصر الهائج. لقد خلقنا الله ويسّر لنا الأشياء وسخر لنا الكون من أجل أن نعيش حياتنا بسلام بعيدًا عن القلق والغضب لأتفه الأسباب، والتذمر من أبسط الأمور، وأن نحيا بحب وحماس، باحثين عن الحقائق ذات المعاني العظيمة ولو كان ذلك على حساب بعض اللذائذ الزائفة. إن الله يود أن يرانا نعيش حياةً طيبةً لا أن نشقى.

(أن تضحك غالبا وكثيرًا، وأن تكسب احترام الأذكياء وحب الأطفال، وأن تكسب تقدير النقاد المخلصين وتتحمل خيانة الأصدقاء الزائفين، وأن تقدر الجمال، وأن تجد الأفضل في الآخرين، وأن تغادر العلم وقد صار أفضل قليلًا سواء بطفل سليم الصحة أو حديقة صغيرة أو بترميم علاقة اجتماعية تضررت، أو أن تعرف حتى إن هناك إنسانًا قد صارت حياته أفضل ولو للحظة بسبب وجودك في الحياة، هذا هو المعنى الحقيقي للنجاح) .... رالف والد إمرسون

(81) القسوة تحمل معها بذور فنائها

إن الإنسان النوراني لا يحدّق طويلًا في عيون الآخرين لأن ذلك عدوانًا على شعورهم بالأمان والسلام. إنه لا يستخدم منبّه السيارة في غير الضرورة، لأن ذلك نوع من العنف يوتّرهم ويسلب حقهم في التمتع بالهدوء. إن من الفظاظة بالنسبة إليه عدم الابتسام في وجوه الآخرين عندما تلتقي أعينهم. إن حرية الآخرين في العيش بالسلام والأمان هو حق مقدس.

أراد شاب أن يكون مقاتلًا عظيمًا، فذهب إلى أشهر معلّم ليدرّبه على فنون الحرب والقتال، فطلب منه المعلم في أول درس له أن ينقل الماء في برميل كبير من أحد الجداول إلى المزرعة، وبعد سنة من العمل الشاق عاد الشاب إلى معلمه مذكرًا إيّاه بأنه جاء إليه ليصبح مقاتلًا وليس حمالًا للمياه، فطلب منه المعلم أن يسير على حافة الصخر، فقضى سنة متواصلة ذارعًا حافة الصخر ذهابًا وإيابًا. وعندئذ أمره المعلم أن يسير على جسر متهرّئ بين جبلين عظيمين، فقضى سنةً أخرى على تلك الحال ثم عاد إلى معلّمه متعجبًا، فقال له: لقد علمتني أشياء كثيرةً ولكن لم تعلمني فنّ القتال! فقال له المعلم في الدرس الأول علمتك الصبر وتقوية العضلات وفي الثانية تعلمت الرشاقة والآن تعلمت الإقدام والشجاعة، إذهب لقد نجحت في الامتحان ولست في حاجة إلى أن تقتل وتجرح الآخرين لكي تغدو مقاتلًا عظيمًا.

إن الإنسان النوراني يدعو للابتعاد عن القسوة والعنف في حلّ الخلافات واعتماد الرفق واللين، وإن النتائج الفورية التي يحصل عليها من يتبع سبيل العنف باطلة وتحمل في طياتها بذور زوالها وفنائها، ومهما انغمس البعض في تغطية ضعفهم بالقسوة وتغليف أنفسهم بقناع التجهّم ليصبحوا مرهوبي الجانب فسرعان ما تنهار أقنعتهم وتنكشف حقيقتهم. إن الصراخ لا يوصلنا عادة إلى ما نريد ويمكننا الحصول على مرادنا بدون الحاجة إلى ذلك. إن القوة الحقيقية هي قوة النفس من الداخل واستخدامها في جعل العالم أكثر أمنًا وسلامًا. ويعرف العلماء حق المعرفة وفي صميم أنفسهم بأنهم متى ما سخّروا قواهم في خدمة الناس فإن الله سيضاعفها لهم ومتى ما سخّروها في إيذاء الآخرين فإنه سيسلبها منهم.

إن قوانا هي أمانة في أعناقنا من أجل خير البشر وعيشهم بسلام.

(82) رحلة الانسان العظيمة

إن أقوى الأحاديث التي يجريها الإنسان النوراني، هي حديثه الداخلي مع نفسه، لتمكينها من الصمود أمام الصعاب، والتفاعل بمحبة مع الناس، ومواصلة العمل والانغماس في الحياة. إنه يحاور نفسه حاثًّا إياها على عمل الخير وزرع الأمل في نفوس الآخرين والتفاؤل بغلَبة الحق على الباطل. إن تلك الحوارات تؤدي إلى تسكين نفسه من المخاوف التي ترافقه أثناء ممارسته لحياته اليومية.

إن حديثه الداخلي يذكّره بأن البشر سادة الكائنات على الأرض، يمتلكون مصادر هائلة تحيط بهم من الخارج، وأخرى كامنة في داخل أنفسهم، وقد خُلِقوا لكي يتعايشوا ويتراحموا فيما بينهم.

إن الإنسان النوراني يقرّ مع نفسه أنه لا يوجد ضعيف وقوي، فالكل أقوياء ونحن أقوى مما نظن. لقد حبانا الله بقوىً هائلة كامنة في داخل أنفسنا تنتظر إشعالها من قبلنا، وإن لنا قدرات غير محدودة، وإن الظاهر منها جزءٌ يسير، أما الجزء الأكبر فهو خافٍ ورابضٌ في داخلنا، ونحن المسؤولون عن إخراجها والانتفاع بها للسيطرة على حياتنا في لحظات الضعف والانكسار.

إن أعظم رحلات الإنسان النوراني هي رحلاته نحو نفسه، وأعظم اكتشافاته هي عندما يتعرف على كنوزها وعلى القوى المخفية في داخله، وإن ما يمنعه من رؤيتها وتأمّلها والاستعانة بها هو انغماسه في الهموم اليومية ونفاد صبره من الأحداث، وتذمّره من المشاكل، وعدم تقديره وامتنانه للهبات الإلهية العظيمة من حوله.

(83) أغنياء ولكن فقراء

إن الإنسان النوراني يحب الفقراء ويكره الفقر، ويحب الامتنان من النعم الكثيرة المجهولة التي حباه بها الله. إن الغنى لديه هو غنى النفس، والقناعة هي كنزه الدائم، وإن سعيه للغنى هو من أجل الاكتفاء وإكرام أهل الحاجة. إن قيمة المال هو عندما يستخدمه، مثل الزهرة التي تعرف قيمتها عندما تتفتح ويضوع عبيرها للناس.

أراد أحد الآباء تعليم ولده، فاصطحبه معه لزيارة أسرة فقيرة تسكن في الريف وأبقاه معهم لعدة أيام، وبعد ذلك عاد به إلى البيت وسأله عن الأشياء التي تعلمها خلال تلك الأيام ، فأجاب الابن:

نحن لدينا مسبح بمياه معقمة، وهم يسكنون بجانب نهر رقراق تسبح فيه الأسماك.

نحن لدينا حديقة مضاءة بمصابيح، وحديقتهم سماؤها مرصعةٌ بالقمر والنجوم.

حديقتنا مسورة بسياج، وحديقتهم مفتوحة على مدّ البصر.

نحن نشتري طعامًا جاهزًا من الأسواق، وهم يطبخون طعامهم اللذيذ في المواقد الخشبية.

نحن نسمع موسيقانا من الأقراص المدمجة، وهم يسمعون أجمل الألحان من طيور الغابة.

إننا نحمي بيوتنا بالأسوار العالية، وهم يحمونها بالجيران الطيبين.

نحن متعلقون بالسيارة والحاسب الآلي، وهم متعلقون بالعائلة والأصدقاء.

شكرا يا أبي لأنك علمتني كم نحن فقراء!

(84) في كل موقف سلبي شيء إيجابي

في صباح أحد الأيام، أفاق الإنسان النوراني من النوم متأخرًا بسبب حلم قد رآه وأرّقه، فأصبح حزينًا مهمومًا ولم يجد الوقت الكافي لممارسة رياضة المشي كما يفعل كل صباح، ولما همّ بركوب سيارته رأى أن هناك شخصًا قد أوقف سيارته أمامها، فقال لنفسه: «إنها الإشارة لتهدئة النفس وترك الأمر والمشي كما أفعل كل يوم». فانطلق ماشيًا وكأن شيئًا لم يكن ونسي أمر السيارة، وعند رجوعه وجراء الحركة والرياضة ذهب كل حزنه وهمه وفوق ذلك وجد أن ذلك الشخص قد أزاح سيارته من أمامه.

إن في كل شيء سلبي يكمن برعمٌ إيجابي مرادف له يتطلّع إلى البزوغ والظهور. تلك هي دورة الحياة الطبيعية التي أوجدها الله في هذا الكون لكي يدور ويدوم، والمحظوظون فقط هم من أوتوا البصيرة لكي يصبروا أثناء الأزمات ناظرين إلى الفرج الكامن فيها حتى تنجلي، والصامدون عند مرارة الأيام حتى تنتهي دورتها ثم تزول، ومن تيقّن من تلك الحقيقة في قلبه فسيحيا هادئًا مع كل ما تجود به الأيام، متقبّلاً بصدر رحب كل عطايا الحياة.

إن قمة البصيرة لدى الإنسان النوراني هو عندما يشعر بالنور ويحس به وكأنه يراه رغم وجوده في وسط الظلام وفي قلب العتمة.

(85) حياة زائفة

تأمّلَ الإنسان النوراني في حال الناس هذه الأيام فوجدهم يعيشون حياة ينقصها الكثير؛ فقد أصبحوا يمتلكون منازل كبيرة وفاخرة، ولكن أسرهم صغيرة ومحطمة.

ويمتلكون وسائل راحة أكثر ولكنهم يقضون مع أولادهم وقتًا أقلّ. وجد الناس يمتلكون شهادات دراسية أكثر ومنطقًا أقل، وهم يغضبون بسهولة وينسون بصعوبة، وأصبحوا يتكلمون كثيرًا ويحبون نادرًا. لقد أضحوا يقرأون قليلاً ويشاهدون التلفاز كثيرًا، أرصدتهم أصبحت كبيرة ونفوسهم باتت صغيرة، يشترون أكثر ويستمتعون أقل، وينفقون أكثر مما يملكون.

لقد أضحوا يمتلكون المعرفة ولكنهم يفتقرون للحكمة، ويمتلكون الأدوية ولكن يفتقرون للصحة .

لقد تعلّم الناس كيف يجعلون أموالهم تتزايد وأخلاقهم تتناقص، لديهم طرقات واسعة ووجهات نظر ضيقة، يصلون إلى أقصى العالم بسهولة، ويصلون إلى جارهم بصعوبة.

لقد انتصروا على الفضاء الخارجي ولم ينتصروا على أنفسهم.

لقد وجد الناس يخططون كثيرًا وينجزون قليلًا، لديهم الكثير من الوقت والقليل من المتعة.

تعلموا العجلة والسرعة، ولم يتعلموا الصبر والانتظار.

إن الحياة ليست هي مجرد البقاء على قيد الحياة.

(86) أبدًا .. لا تحكم على الآخرين

إن الإنسان النوراني يتقبل الناس كما هم ويتعايش مع الأشياء كما هي وليس كما يريدها أن تكون. إن خلف كل سلوك من الآخرين نية إيجابية مخفيه لشيء ما، بغضّ النظر عمّا إذا كان سلوكًا حسنًا أم سيئًا. وإن من يسلك سلوكًا عنيفًا فهو يعبّر عن حاجته إلى الاعتراف به، أو أنه يعبّر عن خوفه. إن الإنسان النوراني يبحث من أعماق روحه عن كل النوايا الايجابية الكامنة في دواخل الناس.

كان هناك رجلٌ طاعنٌ في السن يبيع دمًى وألعابًا في السوق ببغداد، وكان بعض الذين يشترون منه يستغلون ضعف بصره ويدفعون له مقابل ذلك عملات مزيفة، وقد انتبه العجوز إلى هذه الخدعة وكان يطلب من الله أن يغفر لهم، وامتنع من الحكم عليهم وتجريمهم، فقد لا يملكون المال لشراء هدايا لأطفالهم، فلما مات الرجل وجاء يوم الحساب طلب من الله أن يخفف عليه احتساب زيفه وخداعه وخطاياه التي ارتكبها في أثناء حياته أسوةً بالناس الآخرين الذين اشتروا منه الألعاب وخدعوه بعملات مزيفة، فسمع صوتًا قدسيًّا يقول: لقد عفوت عنك، وكيف أحاكم شخصًا لم يحاكم الآخرين على خطاياهم)، لقد سامحه الله لأنه سامح الناس ولم يحاكمهم.

إن أحكام الإنسان النوراني تقتصر على نفسه، فلا يحاكم الآخرين ولا يحب أن يحكم عليهم.

(إن احتقارنا لشخص أو تجنّبه أو إصدار حكم عليه ليس إلا خرقًا لقانون الطبيعة) ... كارلوس أورليوس.

(87) المظاهر والجواهر

بينما كان أحد الأشخاص يسير بمحاذاة أحد الأنهار، وجد إنسانًا نورانيًّا جالسًا على صخرة وهو يتأمل جريان النهر الهائج، فسأله: ما الذي أثارك في هذا النهر، فأجابه: إن الطبقة العليا من هذا النهر هائج مائج متقلب المزاج يفور بالحركة الظاهرة ويحمل على ظهره كل ما يخطر على البال من الزبد والأخشاب والعلب الفارغة، أما الطبقة السفلى من النهر، فذاك هو النهر الحقيقي؛ فبالرغم من هدوئه الظاهري فإنه صاف وعميق، فعال وسريع الجريان، إن المظاهر الخارجية لا تنبئ عن حقيقة الأشياء .

(88) الحب الكامل

إن الإنسان النوراني يمنح الناس فرصتهم في أن يقبلونه أو أن يرفضوه؛ إنهم أحرار في أن يحبّوه أو لا يحبّوه، وفي اعتناق أفكاره أو رفضها. إن حلفاءه يساندونه لأنهم مؤمنون به لا لأنهم يخشونه، فإذا أجبر الناس على مساندته فسيصبحون أعداءً كامنين ينتظرون حتى يتسلحون بالقوة الكاملة ثم يعلنون العصيان. إن الحب الكامل عند الإنسان النوراني هو رديف الحرية الكاملة. والناس يساندون ذلك الذي يحترم استقلاليتهم. إن محاولة السيطرة على الآخرين هو إغراء لهم لمقاومته، وعندما يسعى للسيطرة على الآخرين فإنه بذلك يهدر طاقته ويبدّد وقته كمن يمسك بالريح، وسيفقد حريته لأن حريته هي حرية الآخرين.

إن أسهل شيء في الحياة هو أن تخيف الناس وأصعب شيء هو أن يحبك الناس. وإن القوة المغرورة هي قوة فانية، ولا يبقى أحدٌ خالدًا سوى من يبقى ذكره في قلوب المحبين.

(89) الكلمة الطيبة

إنِ الإنسان النوراني يفتح الأبواب الموصدة والقلوب القاسية بالكلمة الطيبة؛ فكم من شخصٍ قد أُزيل همّه وتحسنت معنوياته بشكل مذهل بسبب كلمة لطيفة وردت من صديق، وأحقادٍ راسخةٍ قد اختفت بجملةٍ صدرت من قلبٍ محبّ. إنه يغتنم أيةَ فرصةٍ لتشجيع الآخرين على أعمالهم الطيبة، ويعلم كم يتوق الناس إلى سماع كلمات التشجيع التي تحيل بلمح البصر إنسانًا يائسًا إلى قوة هائلة من الحيوية والنشاط. إنه يتحيّن كلَّ فرصةٍ من أجل التقاط تلك اللحظات التي ينتظرها الناس ليشجعهم على أن يعملوا شيئًا مفيدًا. إن كلمة تشجيع طيبة من روح محبة دافئة قد تنقل إنسانًا من قاع الهموم إلى أمل جديد للحياة. إنه يدعو الله دومًا أن يمنحه كنزًا من تلك الكلمات ليليّن بهما القلوب القاسية.

إن الله منحنا هذا اللّسان لكي نشكر ونبارك ونشجّع الناس على كل عملٍ طيّب يفعلوه. إنه جسر يوصل كلمات الحكمة إلى الناس، وتعبر من خلاله مشاعر الود والحب.

لقد شاغلت شهرزاد شهريار بالكلمة الطيبة لألف ليلة وانتصرت على وحشية الإنسان فيه.

(90) سـر التنور

جمع الإنسان النوراني تلاميذه، وسألـهم كيف نعرف اللحظة التي ينتهي فيها الليل ويبدأ النهار، فأجاب أحدهم: عندما نتمكن من رؤية شعاع الشمس، وأجاب الثاني:عندما نفرق بين الكلب والشاة، وقال آخر: عندما نميّز التين من الزيتون، فقال الإنسان النوراني: كلّا، ينتهي الليل ويبدأ النهار عندما لا نميّز بين الأخ والغريب ونعاملهم على حدّ سواء، عندما يكون بمقدورنا النظر في عين أخٍ لنا وإدراك أنّه جارنا، وعندما يكون بمقدورنا الاستيقاظ من سريرنا من دون أي شعور بالندمٍ على ما فعلناه في اليوم السابق، وعندما نقرر أن نعمل الخير دومًا بمعزل عن التفكير في الثمن المدفوع جراء ذلك، حينما نوسّع دائرة الحب لأوسع مدىً ممكن ونفتت دوافع الكراهية ومسببات الأحقاد، حينذاك ينجلي الليل ويطلع النهار، وإذا لم نتمكن من القيام بذلك فإن الليل سيسود حتى لو كانت الشمس ساطعةً مشرقة في كلّ أنحاء الكون.

رسالة الإنسان النوراني

يعمل الإنسان النوراني بمحبة ويتكلم بمحبة، وبذلك يفتح ينبوعًا عذبًا في داخل نفسه، يزرع بذرة خير ويؤمن من أعماقه بأن كل قوانين الطبيعة ستساهم في إنباتها، إنه يذهب للقاء الآخرين بأوانٍ مليئة، كلمة دافئة أو بسمة طيبة، يبدأ يومه بإرسال رسالة حبّ إلى كلّ الكائنات ولأن الحبّ يحمل مكافأته في داخله، فسرعان ما ترجع الرسالة إلى قلبه لتفرحه وتقوّيه، ولأن النقص طبيعة أساسية في البشر، فإن الغفران ديدنه وهو خلاصه للعيش بسلام.

إن الإنسان النوراني لا يشعر بالحرية التامة إلّا عندما يقوم بأشياء لا مصلحة من ورائها، وهو على يقين تام بأن أفضل وسيلة للاحتفاظ بثرواته الداخلية والخارجية هي عند إشراك الآخرين بها، وفي الوقت الذي يقهر الذئب الكامن في داخله عندما يقحمه في الخصام مع الآخرين، فإنه يقاوم نفوره من التفاهم معهم.

إن الإنسان النوراني يؤمن أن الاختلاف والتنوع هو الكمال الوحيد في هذا الكون، لذا فإنه يحلّق فوق منغصات الحياة، فيتخيّل نفسه كالسماء العالية والمنغصات مثل الغيوم المتناثرة التي تتحرك يمينًا ويسارًا وهو في الأعالي يراقبها إلى أن تتلاشى وتزول، ويؤمن أن آلامنا جزءٌ من الحياة، فهي تمنحنا الإحساس النبيل بالآخرين فنكون أكثر إنسانيةً ورفقًا بهم.

إن الإنسان النوراني يسعى أن لا يبقى وحيدًا، لأن الوحدة تجعله خارج نطاق الحب والنور، إنه يعمل بالسياسة، ولكن سياسة الدفاع عن الإنسان المقهور، وهو يؤمن بالدين، ولكن دين المحبة والتسامح حيث تتعانق كل المقدسات.

خاتمة الكتاب

إن الإنسان النوراني ليس معلمًا، بل أنت معلّم نفسك، إنه لا يريدك أن تتبعه، فاتبع نفسك وحدسك وضميرك، إنه لن ينقذك من آلامك، ولن يكون بديلًا عنك ولا يقودك في رحلة الحياة، إنه فقط يضيء لك شيئًا من الطريق ويزيل عنك بعض الحجب، ويفتح لك عددًا من الشبابيك المغلقة لترى النور وتشم النسيم، ولأنه خَبِر الطريق، ولمحَ بارقًا من نور، فهو يشير إلى بعض الأشرعة التي ينبغي أن تنشرها حتى تبحر بسلام، ولكنك أنت وحدك ولا أحد غيرك ربّان سفينتك وقائد حياتك وحدّاد سعادتك.

إن الإنسان النوراني مسافرٌ أبدًا في طريق المعرفة متلمسًا شعاع النور بكل وجدانه، لقد عاد من إحدى سفراته ورأى قبسًا من نور، وودّ لو عرف كل الناس ذلك، ولا زال أمامه طريق طويل، إنه لا يعرف كل الطريق، وليس هو إنسان كامل، بل هو في كل يوم يكتشف قصوره ونقائصه، ولا يدّعي أنه توصّل إلى معرفة حقائق الكون. إنه إنسان يسقط أحيانًا في الوحل. إن الحكايات التي يسمعها والأفكار النورانية التي تنير قلبه هي هبةٌ إلهية، وأسراره الغالية وجواهره الثمينة في الحياة ويرغب من روح طيبة في أن يشرك الآخرين بها، كي تبتهج قلوبهم كما ابتهج بها قلبه.

إن الإنسان النوراني يعيش الآن وفي هذه اللحظة بالذات بشغف بكل ذرة من كيانه، ولا يعرف ما يخفي له الغد، وعندما يموت فإنه يأمل أن يموت راضيًا ومطمئنًا، حالمًا أن يولد من جديد في عالم أفضل.

دعاء

إلـهي...

امنحني قبسًا من نورك لأرى شيئًا جميلًا في كل سوء أُلاقيه، وأن ألمح لطفًا يوشك على الظهور من كل غمّ أعانيه، وأن أجد فرصةً في كل صعوبةٍ، ومعنى في كل معاناة، وامنحني يا إلهي القدرة على رؤية الجمال من بين الركام، وأن أتقبّل الهزيمة مثلما أتقبّل النجاح، مستبشرًا برحمةٍ قادمةٍ وأنا في قلب الأحزان.

إلـهي ...

امنحني قبسًا من نورك لتسعني الحياة بحلوها ومرّها، فرحًا هائمًا في دنياك في كل الحالات، فيستوي عندي كل ما يرد منك، واجعل إحساسي بالرضا ينساب من بين جوانحي مع كل نفس أستنشقه، ولا تجعلني أشعر بالاستياء من أي شيء.

إلـهي ...

امنحني القدرة لإلهام وإغناء روح كل من أصادفه في طريقي، فيغدو شخصًا أفضل بعد أن يفارقني. واجعل اللّطف والتهذيب شعاري، واجعل شعلة الخير لا تنطفئ أبدًا في داخلي.

إلـهي ...

اشغلني بنفسي، واجعل راحتي تأتي منها، وبهجتي تنبع من داخلها حتى بدون أن أعرف السبب، وأن أعيش متصالحًا مع روحي، وألهمني أن أعيش حياةً بسيطةً، وأن أملأ قلبي بالرحمة لكل الكائنات والمخلوقات.

إلـهي ...

اجعل قلبي أغلى ممتلكاتي، ودع نهر المحبة يجري في عروقي ولا تقطع مددك عنه، ودعه يشع من نورك، واملأه بالرضى مهما دارت به الأيام، إلهي واجعلني أُحبّ الناس وكأني لم أصادف أذًى من أي بشر.

واجعل محبتي تلك هي التي تحرسني من تحولات الأيام.

إلـهي ...

اجعلني أذوب وأحيا في الحياة في كل لحظةٍ، وأن أتبادل الحياة مع الكائنات، وأن أعيش في مرح مع البشر والأحداث بل وحتى مع نكبات الحياة، واجعلني عاشقًا بلا حدود، وبيتي هو

العالم كله.

إلـهي ...

اجعل يدي دائمًا مفتوحة بالعطاء، ومرفوعةً إلى الأعلى لتحية الآخرين.

إلـهي ...

لا تجعلني أخاف من أحد، ولا تجعل أحدًا على وجه الأرض يخاف مني.